المجلد: (الثاني)

العدد: (السادس) أكتوبر 2022م

International Journal of Arabic Language and Literature Research

المجلة الدولية لبحوث اللغة العربية وآدابها

(IJALR)

مجلة علمية دورية محكمة

تصدرها الجمعية العربية لأصول التربية والتعليم المستمر

(ASFC)

The online ISSN is :2786-0361

The print ISSN is :2786-0353

التنمُّرُ والسخريةُ وأثرُهُمَا المدمرُ على الفردِ والمجتمعِ في ضوء فقه الكتاب وصحيح السنة.

إعداد:

د. أسامة عبد الغفار محمد علي الشريف.

أستاذ مساعد جامعتي تبوك والملك سعود سابقاً.

عميد أكاديمية رواد التميز للتعليم والتدريب والاستشارات.

وداعية إسلامي.

التنمُّرُ والسخريةُ وأثرُهُمَا المدمرُ على الفردِ والمجتمعِ
في ضوء فقه الكتاب وصحيح السنة.

مقدمة.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَخْلَاقَ مِنَ الدِّينِ، وَأَعْلَى بِهَا شَـــأْنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَفَعَ بِمَكَارِمِهَا أَقْوَامًا فَكَانُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ، الحمدُ للهِ القائلِ في محكمِ التنزيلِ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق، آية: 18).

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ، وَأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، فاللهم صلِّ وسلمْ وزدْ وباركْ على النبيِّ المختارِ وعلى آلهِ وصحبهِ الأطهارِ وسلمْ تسليمًا كثيرًا إلى يومِ الدين.

فاتقوا الله عباد الله:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب، آية 70 –71].

ظاهرة التنر والســخرية من أخطر الظواهر التي حرمها الإســلام، وحذَّر من خطرها، وضــررها، ظاهرة قد انتشـــرت بين أبناء المجتمع، وأصـــبحت أمرًا معتادًا بين أفراد المجتمع؛ إنها ظاهرة التَّنَمُّر والسخرية.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

التَّنَمُّر أوالسـخرية؛ هي السـلوك العدوانيُّ المتكرر الذي يهدف إلى الإضـرار بفرد آخر بطريقة عمدية، سـواء كان هذا الإضـرار نفسـيًّا أو جسـديًّا، والتصـرفات التي يندرج تحتها مفهوم التَّنَمُّر كثيرة ومتنوعة.

التنمر والسـخرية، هو كلُّ لفظ وفِعْلٍ يصـدر من فرد أو مجموعة من الأفراد، يتسـبب في إيذاء وإسـاءة فرد آخر أضـعف، وقد يكون جسـديًّا، أو لفظيًّا، أو بأي شـكل كان؛ بغرض الترهيب والتخويف لاتباعه، والانصياع لأوامره.

فمنها الإسـاءة بالنظر، ومنها التنابز بالألقاب، ومنها اسـتخدام الألفاظ الجارحة، أو كتابة جمل تسيء إلى مشاعر فردٍ، وقد تكون أيضًا استبعادًا من ممارسة نشاط معين، أو حضور مناسبة اجتماعية، أو إكراه الشخص على فعل شيء يرفضه.

والتَّنَمُّر قد يَصِلُ أيضًا للإساءة الجسدية، والشخص المتنمر في الغالب لا يكون منتبهًا إلى ما يفعله، وقد يفعله بالقصـد، وهنا الدافع كما حدَّده علماء النفس يكون الغَيرة، أو لأنه قد تعرض لهذا الفعل في يوم من الأيام.

وروى مسلم وأبو داود وابن حبان، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:

«كَفَى بالمرءِ كذِبًا أن يحدِّثَ بِكُلِّ ما سمِعَ»([1]).

[1]. أخرجه مسلم في (مقدمة الصحيح) (5)، وأبو داود (4992)، وابن حبان (30) من حديث أبي هريرة.

شرح الحديث.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

وروى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أوْ لِيصْمُتْ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ والْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»([2]) وإذا عرف المسلم أنه محاسب على كلامه، قلَّ كلامه.

كَثرةُ الكلامِ تُكثِرُ من سَقَطاتِ اللِّسانِ، والمُسلِمُ مَأمورٌ بالصِّدقِ في حَديثِه وكَلامِهِ، والتَّثبُّتِ من كلِّ ما يَقولُه أو يَنقُلُهُ؛ حتَّى لا يَقَعَ في الكَذِبِ، وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّه يَكفي الإنسانَ من أسبابِ الوُقوعِ في الكَذِبِ: أن يَتكلَّمَ ويُخبِرَ بكُلِّ ما سَمِعَه دُونَ تَمحيصٍ أو تَثبُّتٍ؛ لأنَّ الإنسانَ يَسمَعُ في العادَةِ الصِّدقَ والكَذِبَ.

فإذا حدَّثَ بكلِّ ما سَمِع فقد أخبَرَ بكَلامٍ فيه بعضُ الكَذِبِ؛ لإخبارِه بما لم يَكُن، حتَّى وإن لم يَتعمَّدِ الكَذِبَ؛ لأنَّ الكَذِبَ في الحقيقةِ هو الإخبارُ عن الشَّيءِ بخِلافِ حَقيقتِه، وهذه دَعوةٌ نَبويَّةٌ إلى التَّحرِّي في الأخبارِ، وعدَمِ نَقلِ كُلِّ ما يُقالُ دُونَ تَمحيصٍ، وفي الحَديثِ: زَجرٌ عنِ التَّحديثِ بشَيءٍ لم يُعلَمْ صِدقُه، بل على الرَّجُلِ أن يَبحَثَ في كلِّ ما سَمِعَ، خُصوصًا في أحاديثِ النَّبيِّ ﷺ.

[2] . أخرجه البخاري (6018)، ومسلم (47).

شرح الحديث.

يُرشِدُنا النَّبيُّ ﷺ في هذا الحَديثِ إلى التَّحَلِّي بالآدابِ والأخْلاقِ الإسلاميَّةِ، الَّتي تَزيدُ الأُلفةَ والمَوَدَّةَ بيْنَ المُسلِمينَ، فيُخبِرُ أنَّ مَن كانَ يُؤمِنُ باللهِ الَّذي خَلَقَه إيمانًا كامِلًا، ويُؤمِنُ باليَومِ الآخِرِ الَّذي إلَيهِ مَعادُه وفيه مُجازاتُه بعَمَلِه؛ فَلا يُؤذِ جارَه، بل يُكرِمُه بالإحسانِ إليه واللُّطفِ في معامَلَتِه.

وأنَّ مَن كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَليُكْرِمْ ضَيْفَه، وإكرامُ الضَّيفِ يكونُ بطَلاقةِ الوجْهِ، وطِيبِ الكَلامِ، والإطعامِ ثَلاثةَ أيَّامٍ، بما حَضرَهُ مِن غَيرِ تَكلُّفٍ؛ لئلَّا يُثقِلَ عليه وعلى نفْسِه، وبعدَ الثَّلاثةِ يُعَدُّ مِن

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

قال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله-: (**من عدَّ كلامه من عمله، قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه**)

([3]) وكثيرًا ما يؤدي إطلاق اللسان وفضول الكلام إلى الخوض في الباطل، وفيما لا ينبغي.

الصَّدقةِ، ومِن الضُّيوفِ مَن يكونُ حقُّه أَولى، كالضَّيفِ المُسافِرِ، وهو القادمُ مِن بَلدٍ آخَرَ، فحَقُّه وإكرامُه أَولى مِن الزَّائرِ مِن البَلدِ نفْسِه، وليسَ قادِمًا مِن السَّفَرِ.

وأنَّ مَن كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيرًا، أو ليَصمُتْ، أي: يَلتَزِمِ السُّكوتَ إن لم يستطِعْ قَولَ الخيرِ؛ وذلك أنَّ الإنسانَ في الأصلِ مأمورٌ بقولِ الخيرِ دومًا، وإنما نَبَّه وشَدَّد عليه؛ لأنَّ آفاتِ اللِّسانِ كَثيرةٌ، فإنَّ المرْءَ إذا أراد أنْ يَتكلَّمَ، فَلْيَتفكَّرْ قبْلَ كَلامِه؛ فإنْ علِمَ أنَّه لا يَترتَّبُ عليه مَفسدةٌ ولا يجُرُّ إلى مُحرَّمٍ ولا مَكروهٍ، فَلْيتكلَّمْ، وإنْ كان مُباحًا فالسَّلامةُ في السُّكوتِ؛ لِئلَّا يجُرَّ المُباحُ إلى مُحرَّمٍ أو مَكروهٍ، وإنَّما ذَكَر اليومَ الآخِرَ مع الإيمانِ باللهِ؛ للتَّرغيبِ في تَحصيلِ الثَّوابِ والنَّجاةِ فيه مِن العِقابِ.

[3] . أخرجه معمر بن راشد في جامعه موقوفاً، قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: سمعته غيباً يقول: إن عمر بن عبد العزيز قال: (**من عد كلامه من عمله قل كلامه**) وبمثله أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، وكذا أخرجه ابن المبارك في الزهد وقال: أخبرنا أبو عبيد وغيره عن عمر بن عبد العزيز ثم ذكره بمثله، أخرجه ابن حنبل في الزهد، وأخرجه مرفوعاً ابن عبد البر في التمهيد فقال: روي عنه عليه السلام أنه قال في صحف إبراهيم: (**من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعينه**).

قال: حدثنا محمد بن خليفة قال: حدثنا محمد بن حسين الفريابي، قال: حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني قال: حدثني أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر، رضي الله عنه-، قال: (**قلت: يا رسول الله! ما كانت صحف إبراهيم عليه السلام؟ قال: كانت أمثالاً كلها**)، فذكر الحديث قال: (**وكان فيها: وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه**)، هذا ما وقفت عليه في تخريج الحديث.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

واللسـان– عباد الله – له آفات وحصـائد، أولها وأخطرها الغيبة، وهي معول من معاول الهدم في بناء الأسـرة والمجتمع، وعامل فعال في تفريق المسـلمين، وقد جاء النهي عنها في القرآن الكريم في أقبح صورة: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات، آية: 12].

والغيبة ذنب خطير وجزاؤه وبيل، فعن أنس بن مالك– رضـــي الله عنه–، قال: قال رســول الله ﷺ: (لمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقومٍ لهُمْ أَظْفَارٌ من نُحاسٍ، يَخْمُشُـونَ وُجُوهَهُمْ وصُـدُورَهُمْ، فقُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الذينَ يأكلونَ لُحُومَ الناسِ، ويَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِمْ) ([4]).

---

[4] . أخرجه أبو داود (4878) واللفظ له، وأحمد (13340).

شرح الحديث.

الإسلامُ دينُ الأخلاقِ الحسَنةِ، وقد أمَرَ بحِفظِ الأعْراضِ مِن أنْ تُنتَهكَ بالقولِ أو الفعلِ؛ لأنَّه ممَّا يورِثُ العَداوةَ والبَغضاءَ بينَ المسلِمينَ، **وفي هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ** ﷺ: "**لَمَّا عُرِجَ بِي**"، أي: لَمَّا صُعِدَ بي إلى السماءِ ليلةَ الإسْراءِ والمعْراجِ، "**مرَرتُ بِقومٍ**"، أي: وهُم النارِ، "**لهمْ أظْفارٌ مِن نُحاسٍ يخمِشونَ وجوهَهم وصُدورَهم**"، أي: يخدِشُونَ ويمزِّقونَ وجوهَهم وصُدورَهم بأظفارِهم، فقلتُ: "**مَن هؤلاءِ يا جِبريلُ؟**"، أي: ما الذي فَعلوهُ ليُجازَوْا بهذا العذابِ؟

فقالَ جِبريلُ عليهِ السَّلامُ: "**هؤلاءِ الذينَ يأكلونَ لحُومَ الناسِ، ويَقعونَ في أعراضِهم**"، أي: كأنَّ الذي يَغتابُ غَيرَه من المسلمينَ كمَن يأكلُ لحمَه، فيتَناولُونَ بالكلامِ في أعراضِهم ولا يَحفظونَهم في غِيبَتِهم، فكانَ جزاؤُه مِن جِنسِ عمَلِه، فيمزِّقونَ لحمَ أنفُسِهم بأظفارِهم، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12]، وهذا يدلُّ على أنَّ الوقوعَ في أعراضِ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

روى البخاري، عن سهل بن سعد الساعدي- رضي الله عنه-، قال رسول الله ﷺ: (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ)([5])، وتم عرض الموضوع كما يلي:-

أولًا: التنمُّرُ والسخريةُ داءٌ خطيرٌ.

النَّاسِ وغِيبتَهم مِن الكبائرِ العِظامِ، وفي الحديثِ: الترهيبُ من الغِيبةِ، والتحذيرُ الشديدُ من الوقوعِ في أعراضِ الناسِ.

[5] . أخرجه أحمد (19559)، وأبو يعلى (7275) بنحوه، وتمام في (الفوائد) (490) باختلاف يسير.

شرح الحديث.

لِسانُ الإنسانِ وفَرْجُه مِن نِعَمِ اللهِ العَظيمةِ، ولَطائفِ صُنعِه البَديعةِ؛ فاللِّسانُ مع صِغَرِ جِرْمِه عَظيمٌ طاعتُه وجُرْمُه، وقدْ يكونُ سَببًا في دُخولِ الجنَّةِ، أو انْكِبابِ صاحِبِه على وَجْهِه في النَّارِ، والفرْجُ هو موضِعُ الحِفاظِ على الشَّرَفِ والأعراضِ والنَّسْلِ؛ لذا يَنْبغي للمُسلِمِ أنْ يَحفَظَهما.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ مَن يَلتزِمُ بأداءِ الحقِّ الَّذِي على اللِّسانِ، وعَبَّرَ عنه بقَولِه: «ما بيْن لَحْيَيْهِ»؛ لأنَّه يقَعُ بيْن اللَّحْيَيْنِ، وهما العَظْمَانِ في جَانِبَي الفَمِ، فيَجتَنِبُ كلَّ ما حُرِّم فِعلُه باللِّسانِ، كالغِيبةِ والنَّميمَة، والسَّبِّ والقَذفِ، وما شابَهه، ويَفعَلُ ما يَجِبُ عليه مِن ذِكرٍ، وأمْرٍ بمَعْروفٍ ونهْيٍ عن مُنكَرٍ، وكذلك يَلتزِمُ بحِفظِ فَرْجِه الذي بيْنَ رِجْلَيْهِ، كاجتنابِ الزِّنا وتَرْكِ الفَواحِشِ واللِّواطِ ووَسائلِ ذلك؛ فإنَّه ﷺ يَضمَنُ له الجنَّةَ، فيكونُ جَزاءُ مَن حَفِظَ لِسانَه وفَرْجَه الجنَّةَ يومَ القيامةِ، كما أنَّ مَن لم يَحفَظْهما يَنتَظِرُه العذابُ يومَ القيامةِ.

وخُصَّ اللِّسانُ والفَرْجُ؛ لأنَّهما أعظَمُ البَلاءِ على الإنسانِ في الدُّنيا، فمَن وُقِيَ شَرَّهما وُقِيَ أعظَمَ الشَّرِّ، وكما أنَّ الإنسانَ مَجبولٌ على شَهوةِ النِّساءِ، فكذلك في اللِّسانِ شَهوةُ الكلامِ؛ فبَعضُ النَّاسِ يَتلذَّذُ إذا تكلَّم في أعراضِ النَّاسِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

ثانيًا: أسبابُ التنمُّرِ والسخريةِ.

ثالثـًا وأخيرًا: علاجُ التنمُّرِ والسخريةِ.

مقدمة.

ما أحوجنَا في هذه الوقت الحالي أنْ يكونَ حديثُنَا عن التنمُّرِ والسخريةِ وأثرِهِمَا المدمرِ على الفردِ والمجتمعِ! ونحنُ نعيشُ أزمةَ أخلاقٍ دمرتْ الأخضرَ واليابسَ مِن قِيمِنَا ومبادئِنَا وأخلاقِنَا، وخاصةً ونحنُ نعيشُ وقتًا عجيبًا فسدتْ فيهِ الأخلاقُ، وانتكستْ فيهِ الفطرةُ عندَ الكثيرينَ مِن الناسِ بسببِ مواقعِ التواصلِ الاجتماعِي.

وخاصةً ونحن نعيشُ زمانًا انتشرَ فيهِ التنمُّرُ والسخريةُ بصورةٍ مُخزيةٍ، ولم يسلمْ منهَا أحدٌ حتى العلماء على مواقعِ التواصلِ الاجتماعِي، والتنمُّرُ مرضٌ عضالٌ، وشرٌّ ووبالٌ، داءٌ يفرّقُ القلوبَ، ويوغرُ الصدورَ، ويُذكِّي نارَ الفتنِ.

إنّهُ داءُ السخريةِ والاستهزاءِ، مرضٌ خطيرٌ، وشرٌّ مستطيرٌ، لا يخلُو منهُ زمانٌ ولا مكانٌ، ولم يسلمْ مِن شرّهِ أفرادٌ ولا أُسرٌ ولا مجتمعاتٌ ولا مقدساتٌ، وخاصةً ونحن نعيشُ زمانًا يبحثُ فيهِ الكثيرُ مِن الناسِ إلّا ما رحمَ اللهُ عن عيوبِ الناسِ ولا ينشغلُ بعيبِ نفسِهِ ويتتبعُ عوراتِ الناسِ ونسَى المسكينُ مَن تتبعَ عوراتِ الناسِ تتبّعَ اللهُ عورتَهُ ومَن تتبَّعَ اللهُ عورتَهُ يفضحُهُ في جوفِ بيتِهِ، ولله درُّ القائلِ:

لَا تَكْشِفَنَّ مَسَاوِئَ النَّاسِ مَا سَتَرُوا	فَيَكْشِفُ اللهُ سِتْرًا عَنْ مَسَاوِيكَ.

أولًا: التنمُّرُ والسخريةُ داءٌ خطيرٌ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

لقد جَاءَ الْإِسْلَامُ بِالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَنَهَى عَنِ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ حَرَّمَ التنمُّرَ والسُّخْرِيَةَ وَالِاسْتِهْزَاءَ بِالْمُؤْمِنِينَ تَحْرِيمًا قَطْعِيًّا، فَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَسْخَرَ مِنْ مُسْلِمٍ، أَوْ يَهْزَأَ بِهِ حَتَّى لَوْ أَخْطَأَ بِحَقِّهِ، فَالْمَنْهَجُ مَعَ السَّاخِرِينَ الْإِعْرَاضُ عَنْهُمْ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا جلَّ وعلا: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً**﴾ [الفرقان، آية: 63].

ولقد سعَى رسولُنَا ﷺ في بدايةِ الدعوةِ في المجتمعِ المدنِي على إيجادِ مجتمعٍ متكافلٍ متراحمٍ يتآزرُ أفرادُهُ ويتعاونونَ فيمَا بينَهُم، كأنّهُم جسدٌ واحدٌ، قالَ جلَّ وعلا: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (المائدة، آية:7).

روى مسلم، عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه–، قال: قال ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وتعاطفهم مِثْلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) ([6]).

---

[6] . أخرجه البخاري (6011)، ومسلم (2586) واللفظ له.

شرح الحديث.

حضَّ الإسلامُ على المؤاخاةِ والأُلفةِ والمواساةِ بيْن المؤمنينَ، وأنْ يَكونوا مُتكاتِفين مِثلَ الجَسدِ الواحدِ، ومثلَ البُنيانِ المرصوصِ؛ لتَقْوى وحْدتُهم وتتَّفِقَ كَلِمتُهم؛ ولذلك أرشَدَ النَّبيُّ ﷺ أُمَّتَه في هذا الحديثِ إلى ما يُنشِئُ فيهمُ التَّراحُمَ والحبَّ والعاطفةَ.

حيث قال: «**ترى المؤمنين في تَراحُمِهم**» بأنْ يَرحَمَ بَعضُهم بَعضًا بأُخوَّةِ الإسلامِ، لا بسَببٍ آخَرَ، «**وتَوادِّهم**»، وهو تَواصُلُهم الجالبُ للمَحبَّةِ، كالتَّزاوُرِ، والتَّهادي، «**وتَعاطُفِهم**» بأنْ يُعينَ بعضُهم بعْضًا، كمثَلِ الجسدِ بالنِّسبةِ إلى جميعِ أعضائِه، إذا اشتكى عُضوٌ منه تَداعَى له سائرُ جَسدِه، أي: دعَا بعْضُه بعضًا إلى المشاركةِ بالسَّهرِ؛ لأنَّ الألمَ يَمنَعُ النَّومَ، والحُمَّى؛ لأنَّ فقْدَ النَّومِ يُثيرُها.

وهكذا ينبغِي لكلِّ مجتمعٍ يريدُ السـلامةَ والرقِيَّ والتقدمَ أنْ يكونَ حريصًـا على التآخِي والتعاونِ، بعيدًا عن كلِّ ما يؤثرُ سلبًا على المجتمعِ، ومِن أشدّ ذلك وأخطرِه مرضُ التنمُّرِ والاستهزاءِ والسخريةِ الذي يثيرُ الأحقادَ ويدعُو للمخْيلةِ والاحتقارِ، ويسـببُ الفرقةَ والاختلافَ، ويورثُ العداوةَ والبغضـاءَ، ويوهنُ بناءَ المجتمعِ القويّ المتماسِكِ.

لذا شـدّدَ الإسـلامُ أعظمَ التشـديدِ، ومنعَ مِن التعرضِ للآخرينَ بالسـخريةِ والاسـتهزاءِ والتنمُّرِ بأيّ لونٍ وشكلٍ مهمَا كان يسيرًا، ويكفينَا **ما رواه أبو داود والترمذي، عن عائشـةَ- رضي اللهُ عنها-، قالت:** (**قُلْتُ لِلنَّبِيِّ: حَسْـبُكَ مِنْ صَـفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا- تَعْنِي قَصِـيرَةً-، فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً، لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**) ([7]).

والمعنى: أنَّ المسلمين يستَشعِرون آلامَ بعضِهم ومصائِبَهمْ بالعَوْنِ وتقديمِ مُساعدةِ بعضِهم بعضًا، كمَثَلِ الجَسَدِ الواحِدِ، إذا مرِضَ منه عضوٌ انهارَ له سائرُ جَسَدِه، وهذا تنبيهٌ للمُسلِمين بأن يكونوا كذلك في جميعِ شُؤونِهم، **وفي الحَديثِ:** التَّشبيهُ وضرْبُ الأمثالِ؛ لتَقريبِ المعاني للأفهامِ. **وفيه:** اهتمامُ المسلمين بَعضِهم ببَعضٍ في جميعِ شؤونِهم.

[7] . أخرجه أبو داود (4875) واللفظ له، والترمذي (2502).

شرح الحديث.

الإسـلامُ دينُ الأخلاقِ الحسَنةِ، وقد أمَرَ بحفظِ الأعْراضِ مِن أنْ تُنتَهكَ بالقولِ أو الفِعلِ؛ لأنَّه ممَّا يورثُ العَداوةَ والبَغضاءَ بينَ المسلِمينَ، وفي هذا الحديثِ تقولُ عائشةُ- رضِيَ اللهُ عنها-: "**قلتُ للنبيِّ ﷺ: حَسبُكَ من صفيَّة**"، أي: من عُيوبِها، وصفِيَّةُ هيَ بنتُ حُيَيٍّ، زَوجُ النبيِّ ﷺ، "**كذا وكذا**".

قال غيرُ مُسـدَّدٍ وهوَ ابنُ مُسـرْهَدٍ، أي: في روايتِهم الحديثَ: "**تعني قَصِـيرةً**"، أي: إنَّ مِن عيوبِها كونَها قَصيرةً، فقالَ النبيُّ ﷺ: "**لقدْ قُلتِ كلِمةً لوْ مُزِجتْ بماءِ البَحرِ لمزَجَتْه**"، أي: إنَّ ذِكرَكِ صَـفِيَّةَ بتلكِ الكلِمةِ لو خُلِطَتْ بماءِ البحرِ لغيَّرتْ لونَه أو رِيحَه، وهذا يُبيِّن قُبْحَ هذه الكلِمةِ، وما فيها مِن الغِيبةِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وروى البخاري، عن أبي ذرٍّ – رضي اللهُ عنه–، قال: (إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ، فَأَعِينُوهُمْ)([8]).

قالتْ عائِشةُ– رضِيَ اللهُ عَنها–: "وحَكيتُ لهُ إنْسانًا"، أي: وقلَّدتُ له إنْسانًا في هَيئةٍ أوْ صِفةِ تَقبيحٍ لهَ، فقالَ النبيُّ ﷺ: "ما أُحِبُّ أنِّي حَكيتُ إنْسانًا وأنَّ لي كذَا وكذَا"، أي: لا أحِبُّ تَقليدَ الناسِ ومُحاكاتَهم، ولَو أخذتُ على ذلِكَ الكثيرَ والكثيرَ مِن المالِ أو المتاعِ.

وهذا لبَيانِ شِدَّة كراهتِه لهذا الفِعلِ على كلِّ حالٍ، وتكونُ الكَراهةُ أشَدَّ إذا كانَ على جِهةِ الاستِهزاءِ والسُّخريةِ والتَّنقيصِ، **وفي الحديثِ:** التَّحذيرُ والتَّرهيبُ مِن الغِيبةِ، والتَّحذيرُ والزَّجرُ عن التَّقليدِ ومُحاكاةِ الناسِ، وخاصَّةً على جِهةِ الاستِهزاءِ بهم.

[8] . الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: البخاري، المصدر : صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 30، خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

شرح الحديث.

الإسلام دِينُ الأخلاقِ العاليةِ والآدابِ الساميةِ مع الناسِ كلِّهم حتى مع الخَدمِ، وهو دِينٌ لم يُفرِّقِ بيْنَ الناسِ ولم يُمايِزْ بيْنَهم بالأنسابِ ولا الأحسابِ، ولا بالعِرْقِ ولا باللَّونِ، وإنَّما التَّمايُزُ بالتقوَى والعَملِ الصَّالحِ.

وفي هذا الحَديثِ أنَّ أبا ذَرٍّ– رَضيَ اللهُ عنه– كان قدْ شَتَمَ رجُلًا وعيَّره بأُمِّه بقولِه: يا ابنَ الأعجميةِ أو يا ابنَ السوداءِ، أو نحوَ ذلِك، فلمَّا علِمَ النبيُّ ﷺ بذلِك وبَّخَه على ذلك وقال له مُنكِرًا عليه:

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وروى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة– رضي اللهُ عنه–، قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: (**المسلِمُ أخُو المسلِمِ، لا يَظلِمُهُ ولا يَخذُلُهُ، ولا يَحقِرُهُ، التَّقْوى ههُنا– وأشارَ إلى صدْرِهِ– بِحسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ أنْ يَحقِرَ أخاهُ المسلِمَ، كلُّ المسلِمِ على المسلِمِ حرامٌ، دمُهُ، ومالُهُ، وعِرضُهُ**)([9]).

«**أعَيَّرْتَه بأُمِّه؟!**» فشَتمْتَه ونَسَبْتَه إلى العارِ بأُمِّه؛ «**إنَّك امْرُؤٌ فيكَ جاهليَّةٌ**» فالسبُّ والشتْمُ والتعييرُ صِفةٌ مِن صِفاتِ الجاهليَّةِ، وهذا زَجرٌ عن هذا الفِعلِ وتَقبيحٌ له.

ثمَّ قال له النبيُّ ﷺ مُعلِّمًا ومُؤدِّبًا ومُعزِّفًا حقوقَ الخَدمِ: «**إخوانُكم خَوَلُكم، جَعَلَهم اللهُ تَحتَ أيدِيكم**»، أي: خَدَمُكم وعَبيدُكم الذين يَلُونَ أُمورَكم ويُصلِحونها مِن المُسلِمينَ هُم إخوانُكم في الدِّينِ، جَعَلَهم اللهُ سُبحانه وتعالَى تحتَ سُلطانِكم؛ «**فمَنْ كان أَخوه تَحتَ يَدِه، فَلْيُطعِمْه مِمَّا يَأكُلُ، ولْيُلبِسْه ممَّا يَلبَسُ، ولا تُكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإنْ كلَّفْتُموهم فَأَعينُوهم**»، فلا تَطلُبوا منهم مِنَ العملِ ما لا يَستطيعونَ فِعلَه، فإنْ أَمَرتُموهم بشَيءٍ مِن ذلك فعليكم إعانتُهم.

فلمَّا سَمِعَ أبو ذرٍّ رَضيَ اللهُ عنه هذا الحديثَ مِنَ النبيِّ ﷺكان يُلبِسُ خادِمَه ثِيابًا مِثلَه، كما رآهُ المَعرورُ بنُ سُوَيْدٍ في الرَّبَذَةِ– وهو مَوضعٌ قَريبٌ مِنَ المدينةِ– عليه حُلَّةٌ، وهي ثَوبانِ: إزارٌ وَرِداءٌ، وعلى خادِمِه حُلَّةٌ؛ امتثالًا لِمَا سمِعَه مِنَ النبيِّ ﷺ.

وفي الحديثِ: تَقبيحُ أُمورِ الجاهليَّةِ وأخلاقِها، وأنَّها زائلةٌ بالإسلامِ.**وفيه:** الحثُّ على الإحسانِ إلى الرَّقيقِ والخَدَمِ ومَن في مَعناهم؛ كالأَجيرِ وغيرِه، والرِّفقِ بهم. **وفيه:** تَرْكُ التَّرفُّعِ على المُسلِمِ واحتقارِه. **وفيه:** فَضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه، وبيانٌ لحُسنِ استِجابتِه لأمْرِ النبيِّ ﷺ.

[9] . أخرجه البخاري (6064) مختصراً، ومسلم (2564) باختلاف يسير.
شرح الحديث.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

الأُلفةُ والمَحبَّةُ بيْن المسلِمينَ مِن أعظَمِ مَقاصِدِ الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ المُطهَّرةِ؛ لذا جاء النَّهيُ عن كلِّ أسبابِ الفُرقةِ والتَّشاحُنِ في المجْتمعِ، وقدْ أخبَرَ اللهُ تعالَى أنَّ المؤمنينَ إخوةٌ في الدِّينِ، والأُخوَّةُ يُنافيها الحِقْدُ والبَغضاءُ، وتَقْتضي التَّوادُدَ والتَّناصُرَ وقِيامَ الأُلْفةِ والمَحبَّةِ فيما بيْنهم.

وفي هذا الحديثِ نَهى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ مَساوِئِ الأخلاقِ، ومِنها الحسدُ؛ فلا يَحسُدُ بعضُنا بعضًا، والحسدُ هو تَمَنِّي زَوالِ نِعمةِ المحسودِ، وهو اعتراضٌ على اللهِ تعالَى له حيثُ أنعَمَ على غيرِه، معَ مُحاولَتِه نَقْضَ فِعلِه تعالَى وإزالَةَ فضلِه سُبحانه، والحسدُ غيرُ الغِبطةِ، وهي أنْ يَرى المرءُ نِعمةً عندَ غَيرِه، فيَتمنَّى مِثلَها لنَفْسِه دونَ زَوالِها عن أخيهِ؛ فإنْ كانت الغِبطةُ في أمرٍ دُنيويٍّ- مِن صحَّةٍ، أو قوَّة، أو مَركزٍ، أو ولَدٍ- فلا بأْسَ بها، وإنْ كانت في أمرٍ دِينيٍّ- كالعِلمِ النَّافعِ، أو المالِ الصَّالحِ- فهي مَطلوبةٌ شَرعًا.

كما في الصَّحيحينِ مِن حَديثِ ابنِ مَسعودٍ- رَضيَ اللهُ عنه-: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رجُلٌ آتاهُ اللهُ مَالًا، فسَلَّطَهُ على هَلَكَتِه في الحَقِّ، ورجُلٌ آتاهُ اللهُ حِكْمةً، فهُو يَقْضِي بها ويُعَلِّمُها**» (الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: شعيب الأرناؤوط، المصدر: تخريج صحيح ابن حبان، الصفحة أو الرقم: 90، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه البخاري (1409)، ومسلم (816)).

وفي البُخاريِّ مِن حَديثِ أبي هُرَيرةَ- رَضيَ اللهُ عنه-: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ: رجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرآنَ، فهُو يَتْلُوه آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ، فسَمِعَه جارٌ له، فقال: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعمَلُ، ورجُلٌ آتاهُ اللهُ مالًا، فهوَ يُهْلِكُه في الحَقِّ، فقالَ رجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فعَمِلْتُ مِثْلَ ما يَعمَلُ**»(الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 5026، خلاصة حكم المحدث: [صحيح] التخريج: من أفراد البخاري على مسلم).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

ثمَّ نَهى النَّبيُّ ﷺ عن النَّجْشِ، وهو أنْ يَزيدَ الإنسانُ في سِعرِ السِّلعةِ لا لِرغبةٍ في شِرائِها؛ بَلْ لِيَخدَعَ غيرَه بتَكثيرِ الثَّمنِ عليه ليَشترِيَها بسِعرٍ زائدٍ، سَواءٌ كان بِمُواطأةِ البائعِ أم لا؛ لأنَّه غِشٌّ وخداعٌ، ويَحتمِلُ أنْ يُفسَّرَ التَّناجُشُ المنهيُّ عنه في هذا الحديثِ بما هو أعمُّ مِن ذلك؛ فإنَّ أصْلَ النَّجْشِ في اللُّغةِ إثارةُ الشَّيءِ بالمكرِ والحِيلةِ والمُخادَعةِ، وحينئذٍ يكونُ المعنى: لا تَتخادَعوا، ولا يُعامِلْ بعضُكم بعضًا بالمَكرِ والاحتيالِ، وإنَّما يُرادُ بالمَكرِ والمخادَعةِ إيصالُ الأذى إلى المسْلمِ.

ثمَّ نَهى النَّبيُّ ﷺ عن التَّباغُضِ، وهو ألَّا يَتعاطى الرَّجُلُ أسبابَ البُغضِ لأخيهِ المسْلمِ؛ لأنَّ البُغضَ لا يُكتسَبُ ابتداءً، والبُغضُ هو النُّفرةُ عَنِ الشَّيءِ لِمعنًى فيه مُستقبَحٍ، وتُرادِفُه الكراهةُ، ثُمَّ هو بيْن اثْنينِ؛ إمَّا مِن جَانِبَيهِما أو مِن جانبِ أحدِهما، وعلى كلٍّ فهو إذا لم يكُنْ حَميَّةً للدِّينِ وغَيرةً على انتهاكِ مَحارمِ اللهِ؛ فهو مَنهيٌّ عنه، وأمَّا البُغضُ في اللهِ فإنَّه يُثابُ فاعلُه؛ لتَعظيمِ حقِّ اللهِ، فلا يَتباغَضُ المسْلِمون بيْنهم في غيرِ اللهِ تعالَى؛ فإنَّ اللهَ تعالَى جَعَلهم إخوةً، والإخوةُ يَتحابُّون بيْنهم ولا يَتباغَضُون.

ثمَّ نَهى عن التَّدابرِ، وهو أنْ يُوَلِّيَ المسلِمُ أخاه المسْلمَ ظَهرَه ودُبُرَه؛ إمَّا حِسِّيًّا فلا يُجالِسُه ولا يَنظُرُ إليه، وإمَّا مَعنويًّا فلا يُظهِرُ الاهتمامَ به، والمقصودُ نَهيُهم عنِ التَّقاطُعِ والتَّهاجُرِ، فيُعرِضُ عمَّا يجِبُ لأخيهِ المسْلمِ مِن حُقوقِ الإسلامِ كَالإعانةِ والنَّصرِ، وإلقاءِ السَّلامِ عليه، وعدمِ الهجرانِ في الكلامِ أكثرَ مِن ثَلاثةِ أيَّامٍ إلَّا لِعُذرٍ شَرعيٍّ.

ثمَّ نَهى ﷺ عن بَيعِ بَعضِهم على بَيعِ بعضٍ، فَلا يَصِحُّ لأحدٍ بِغيرِ إذنِ البائعِ أنْ يقولَ لِمُشتري سِلعةٍ في زَمنِ الخيارِ: افْسَخْ هذا البيعَ وأنا أَبيعُكَ مِثلَه بِأرخصَ مِن ثَمنِه أو أجودَ منه بِثمنِه؛ وذلك لِمَا فيه مِنَ الإيذاءِ المُوجبِ لِلتَّنافرِ وَالبُغضِ، ثُمَّ بيَّن لهمُ المنزلةَ الَّتي يَنبغي أنْ يَكونوا عليها، وهي الأُخُوَّةُ، كأُخُوَّةِ النَّسَبِ في الشَّفقةِ والرَّحمةِ، والمحبَّةِ والمُواساةِ، والمعاوَنةِ والنَّصيحةِ، فأمَرَهم أنْ يَأخُذوا بأسْبابِ كلِّ ما يُوصِلُهم لِمثْلِ الأُخُوَّةِ الحقيقيَّةِ مع صَفاءِ القلْبِ، والنَّصيحةِ بكلِّ حالٍ.

ثمَّ أخبَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ المسلِمَ- سواءٌ كان حُرًّا أو عبْدًا، بالغًا أو غيرَ بالِغٍ- أخُو المسلِمِ في الإسلامِ، فهي أُخوَّة دِينيَّةٌ، وهي أعظمُ مِنَ الأخوَّةِ الحقيقيَّةِ؛ لأنَّ ثَمرةَ هذه دَنيويةٌ، وثَمرةَ تلكَ أُخرويَّةٌ،

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

والتنمُّرُ والسخريةُ والاستهزاءُ بالآخرين داءٌ اجتماعيٌّ خطيرٌ، ووباءٌ خُلقيٌّ كبيرٌ ما فشا في أمةٍ إلَّا كان نذيرًا لهلاكِهَا، وما دبَّ في أسرةٍ إلَّا كان سببًا لفنائِهَا، فهو مصدرٌ لكلِّ عداءٍ وينبوعُ كلِّ شرٍ وتعاسةٍ، والسخريةُ والتنمُّرُ هو: الاحتقارُ والاستهانةُ بالناسِ، وذكرُ العيوبِ والنقائصِ على وجهٍ يُضْحَكُ منهُ بالقولُ أو الفعلِ أو الإشارةِ أو الحركةِ.

فالمسْلمُ لا يَظلِمُ المسْلمَ؛ فإنَّ اللهَ سُبحانه حرَّمَ قَليلَ الظُّلمِ وكَثيرَه، وفي الوقتِ نفْسِه «**لا يَخذُلُه**»، أي: لا يَترُكُه إلى الظُّلمِ، ولا يَتْرُكُ إعانتَه ونَصْرَه، «**ولا يَحقِرُه**» فلا يَستصغِرُ شأْنَه ويَضَعُ مِن قَدْرِه؛ فَالاحتقارُ نَاشئٌ عَنِ الكبْرِ، فهو بذلكَ يحتقرُ غَيرَه ويَراه بِعينِ النَّقصِ، ولا يَراه أهلًا لأنْ يَقومَ بِحقِّه.

ثمَّ بيَّن النَّبيُّ ﷺ المعنى الحقيقيَّ للتَّقْوى فقال: «**التَّقوى هَاهنا**» والتَّقوى هي الخوفُ مِن اللهِ واجتنابُ عَذابِه بِفعلِ المأمورِ وترْكِ المحظورِ، والمعنى: اجْعَلوا هذه الأُمورَ وِقايةً بيْنكم وبيْن النَّارِ، وإذا كان أصلُ التَّقوى الخوفَ، والخوفُ إنَّما يَنشأُ عن المعرفةِ بجَلالِ اللهِ وعَظَمتِه وعَظيمِ سُلطانِه وعِقابِه، والخوفُ والمعرفةُ مَحلُّهما القلبُ.

فلذلك أشارَ ﷺ بِيَدِه إلى صَدْرِه ثَلاثَ مرَّاتٍ، أي: محلِّ مَادَّتِها مِنَ الخوفِ الحاصِلِ عليها القلبُ، الَّذي هو عِندَ الصَّدرِ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ التَّقوى الحقيقيَّةَ هي ما كان مِن الأعمالِ والاعتقاداتِ الَّتي يُصدِّقُها القلبُ ويَعقِدُ عليها بالإخلاصِ، وليْس ما يكونُ مِن الأعمالِ الظَّاهرةِ الَّتي فيها رِياءٌ، وليْس فيها إخلاصٌ للهِ.

ثمَّ قال ﷺ: «**بِحسْبِ امْرئٍ**»، أي: يَكفي الإنسانَ مِنَ الشَّرِّ؛ وذلكَ لِعِظَمِه في الشَّرِّ، كافٍ له عَنِ اكتسابِ آخَرَ؛ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المسلمَ، فإنَّه النَّصيبُ الأكبرُ والحظُّ الأَوفى، ولذلك قال ﷺ: «**كلُّ المسلمِ على المسلمِ حَرامٌ؛ دمُه، ومالُه، وعِرضُه**»؛ فلا يَقتُلُ مُسلمٌ مُسلمًا، أو يَسرِقُه، أو يَزني بحَريمِه، ولا يَطعَنُ في شَرفِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

والتنمُّرُ والسخريةُ آفةٌ من آفاتِ الإنسانِ، مدخلٌ كبيرٌ للشيطانِ، مدمرٌ للقلبِ والأركانِ، يفرقُ بين الأحبةِ والإخوةِ، يحرمُ صـــاحبهُ: الأمنَ والأمانَ، ويدخلُه النيرانَ، ويبعدُه عن الجنانِ، فالبعدُ عنه خيرٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

والتنمُّرُ ظاهرةٌ ســـلبيةٌ مدمرةٌ للأفرادِ والدولِ ويُعَدُّ طمعُ النفسِ وغيابُ الوعيِ وضـــعفُ الوازعِ الدينيِّ، وعدمُ مراقبةِ المولىَ جلّ وعلا من أهمِّ أسبابِ التنمُّرِ والسخريةِ، والتنمُّرُ داءٌ يقتلُ الطموحَ، ويدمرُ قيمَ المجتمعِ، ويعَدُّ خطرًا مباشـرًا على الوطنِ، ويقفُ عقبَةً في سبلِ البناءِ والتنميةِ، يبددُ الموارِدَ ، ويهدرُ الطاقاتِ وينشرُ الكراهيةَ والبغضاءَ بينَ أبناءِ المجتمعِ ولا حولَ ولا قوةَ الّا باللهِ.

والتنمُّرُ ســلوكٌ عدوانِيٌّ متكرّرٌ، يقومُ بهِ الإنســانُ ذَكرًا كان أو أنثى، صــغيرًا أو كبيرًا، فردًا أو جماعةً تجاهَ آخَرينَ، معتمِدًا في ذلك على قوتِهِ وفُتُوَّتِهِ ورفقتِهِ، وعلى ضَعْفِ المعتدَى عليهِ أو انفرادِهِ.

فإيّاكَ أنْ تســخرَ مِن أحدٍ، وإيّاكَ أنْ تحتقرَ أحدًا، واعلمْ أنَّ العبرةَ ليســتْ بالأشــكالِ والمظاهرِ والألقابِ، فقد يكونُ الذي تسـخرُ منهُ وتحتقرُهُ أحبَّ إلى اللهِ منكَ وأنت لا تدري، وأعظمَ قدرًا عندَ اللهِ منكَ، وأقربَ مِن اللهِ منزلةً منكَ وأنت لا تدري.

روى البخاري، عن سهل بن سعد الساعدي- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (مَرَّ رَجُلٌ علَى رَســـولِ اللَّهِ ﷺ، فَقالَ: ما تَقُولونَ في هذا؟ قالوا: حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ يُشَفَّعَ، وإنْ قالَ أنْ يُسْتَمَعَ، قالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِن فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، فَقالَ:

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

ما تَقُولونَ في هذا؟ قالوا: حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ لا يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ لا يُشَفَّعَ، وإنْ قالَ أنْ لا يُسْتَمَعَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: هذا خَيْرٌ مِن مِلْءِ الأرْضِ مِثْلَ هذا) ([10]).

---

[10] . الراوي: سهل بن سعد الساعدي، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 5091، خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

شرح الحديث.

المِيزانُ عندَ اللهِ يَختلِفُ عن المَوازينِ عندَ النَّاسِ؛ فكَثيرًا ما يَقيسُ النَّاسُ بَعضُهم بعضًا بمَوازينِ الدُّنيا مِنَ الجاهِ والمالِ والسُّلطانِ، أمَّا المِيزانُ عندَ اللهِ فَهو بِقُربِ العبدِ إليه وبتَقْواهُ؛ قال اللهُ تعالَى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: 13].

وهذا الحديثُ يَدُلُّ دَلالةً واضحةً على هذا المعنى، حيث أراد الرَّسولُ ﷺ أنْ يُبَيِّنَ لأصحابِهِ نَموذَجًا عَمَليًّا حين مَرَّ رَجُلٌ مِن أغنياءِ المُسلِمينَ، فسأل النبيُّ ﷺ الحاضِرين من أصحابِه عنه: «**ما تَقُولونَ في هذا؟**» فأجابوا أنَّه جَديرٌ إنْ أراد الزَّواجَ أنْ يَقبَلَه النَّاسُ زَوجًا لمَن رَغِبَها، وإنْ أراد أنْ يَشْفَعَ في أحَدٍ قَبِلوا شَفاعَتَه فيه، وإنْ تَحَدَّثَ أنصَتوا له؛ لأنَّهُم يَرَونَه صاحِبَ جاهٍ ومالٍ وسُلطانٍ.

ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ مِن عامَّةِ المسلمين، ليس له قَدْرٌ بيْنَ النَّاسِ، قيل: إنَّه الصَّحابيُّ جُعَيلُ بنُ سُراقةَ رضِيَ اللهُ عنه، فسألهم رسولُ اللهِ ﷺ عنه: «**ما تَقُولونَ في هذا؟**» فأجابوه ﷺ عكْسَ ما أجابوا في الأوَّلِ؛ بأنَّه إنْ أراد الزَّواجَ لا يُزَوِّجُه أحَدٌ، وإنْ شَفَعَ في أحَدٍ لا تُقبَلُ شَفاعَتُه، وإنْ تَكَلَّم فَلا سامِعَ له؛ لأنَّهم يَرَونَه فَقيرًا، لا جاهَ له ولا سُلطانَ؛ فَبَيَّنَ لَهُم رسولُ اللَّهِ ﷺ الأمْرَ على المَعنى الصَّحيحِ.

وذلك أن قال لهم: «**هذا**» الفقيرُ «**خَيْرٌ مِن مِلْءِ الأرْضِ مِثْلَ هذا**» الغنيِّ؛ فالعِبرةُ ومَقامُ المَرءِ وقِيمَتُه ليستْ بمالِه ولا جاهِه ولا سُلطانِه، إنَّما هي بِتَقوى العَبدِ وصَلاحِه ومَقامِه عندَ رَبِّه. وإطلاقُه ﷺ التفضيلَ على الغنيِّ المذكورِ لا يلزَمُ منه تفضيلُ كلِّ فقيرٍ على كُلِّ غنيٍّ؛ فالمعيارُ في التفاضُلِ الدِّينُ والتقوى، وليس الغِنى والفَقرَ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

التنمُّرُ يتحدثُ عن بيتِكَ وأنتَ لا تدري، التنمُّرُ يضيعُ حسناتِكَ وأنتَ لا تدري، التنمُّرُ سوءُ أدبٍ مع اللهِ جلَّ وعلَا وأنتَ لا تدري، التنمُّرُ دليلٌ على ضعفِكَ وعلى حقدِكَ وكرهِكَ للناسِ.

يقول سعيد بن المسيب– رحمه الله–: لا تقل لصاحبك يا حمار، يا كلب، يا خنزير، فيقول لك يوم القيامة: «**أتراني خُلقت كلبًا أو حمارًا أو خنزيرًا**» ([11]).

فالناس سواسية كأسنان المشط، قال رسول الله ﷺ: (**لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأبيضَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أبيضَ، إلَّا بالتَّقوَى، النَّاسُ من آدمَ، وآدمُ من ترابٍ**) ([12]).

لذا حَرَّمَ الاسلامُ التنمُّرَ والسُّخْرِيَةَ وَالِاسْتِهَانَةَ بِعِبَادِهِ، تَحْرِيمًا قَطْعِيًّا، قال جلَّ وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ**

---

[11] . مصنف ابن أبي شيبة: [282/5].

[12] . الراوي: المحدث: شعيب الأرناؤوط، المصدر: تخريج زاد المعاد، الصفحة أو الرقم: 144/5، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح، **وفي رواية**: عن أبي نَضْرةَ: حدَّثني– أو قال: حدَّثَنا– مَن شهِدَ خُطبةَ النبيِّ ﷺ بمِنًى في وَسَطِ أيَّامِ التشريقِ، وهو على بعيرٍ، فقال: (**يا أيُّها الناسُ، ألَا إنَّ ربَّكم عزَّ وجلَّ واحدٌ، ألَا وإنَّ أباكُمْ واحدٌ، ألَا لا فضْلَ لعربيٍّ على عجَميٍّ، ألَا لا فضْلَ لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتقوى، ألَا قد بلَّغْتُ؟ قالوا: نعم، قال: لِيُبْلِغِ الشاهِدُ الغائبَ**) (الراوي: من شهد خطبة النبي بمنى، المحدث: ابن تيمية، المصدر: اقتضاء الصراط المستقيم، الصفحة أو الرقم: 412/1، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11](13).

---

13 . في هذه الآية الكريمة نهي الله عن أخلاق ذميمة ثلاثة:

1. **نهي عن السخرية:** وهي الاستهزاء بالآخرين أو التقليل من شأنهم وتحقيرهم، وهذا يخالف الآداب الإسلامية، قال أحد السلف: لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبًا) **ولله در الشاعر حين قال:**

احذر لسانك أن تقول فتُبتلي إن البـــلاءَ مُوكَّل بالمنـــطق.

2. **ونهي عن اللمز:** وهو الغمز بالوجه- مثلاً- أو تحريك الشفاه بما لا يفهم، **قال الإمام ابن كثير:** ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: تساوي: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء، آية: 29] في سورة النساء.

3. **ونهى عن التنابز بالألقاب:** وهو نهيٌ عام في كل لقب يكره المسلم أن ينادى به، قال الإمام ابن كثير في قوله جل وعلا: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾: أي بئس الصفة والاسم الفسوق، وهو التنابز بالألقاب، كما كان أهل الجاهلية يتناعتون، بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه.

فلا يجوز لمسلم أن يستهزئ بك بأي وجه كان، وحسب من يفعل ذلك قوله ﷺ: **الذي رواه مسلم، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-:** (**لا تحاسَدُوا، ولا تناجَشُوا، ولا تباغَضُوا ولا تدابَرُوا، ولا يبِعْ بعضُكمْ على بيعِ بعضٍ، وكُونُوا عبادَ اللهِ إخوانًا، المسلِمُ أخُو المسلِمِ، لا يَظلِمُهُ ولا يَخذُلُهُ، ولا يَحقِرُهُ، التَّقْوى ههُنا - وأشارَ إلى صدْرِهِ - بِحسْبِ امْرِئٍ من الشَّرِّ أنْ يَحقِرَ أخاهُ المسلِمَ، كلُّ المسلِمِ على المسلِمِ حرامٌ، دمُهُ، ومالُهُ، وعِرضُهُ**) (أخرجه البخاري (6064) مختصراً، ومسلم (2564) باختلاف يسير).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

ولا ريب أن أي إنسان عندما يواجه بسخرية فإنه يغضب، ولكن هنا نقطة يجب أن تتنبه إليها، وهي: أن بعض الناس قد يقصد المزاح المشروع دون أن يقصد أن يسخر منك، ودون أن يعلم أن هذا المزاح يغضبك، فينبغي أن تتفهم هذا، ولا تغضب من مزاح مقبول تتوافر فيه الضوابط الشرعية.

والغضب من هذا المزاح قد يقطع جسورًا من التواصل بينك وبين إخوانك، ولذا فننصحك بترك الحساسية من هذا النوع من المزاح، أما بالنسبة لمعاملة أخيك لك، فننصحك بأن تصارحه بشعورك في لطف وترفق، وأطلعه على هذه الفتوى، ويمكنك أن توسط أحد الصالحين الذين يحترمهم أخوك، ليبين له أنه لا تجوز له السخرية منك، وأن هذا يدخل في معصية الله، **وفيما يلي بعض النصائح والإرشادات لتجنب السخرية والاستهزاء من الناس، وهي كما يلي:**

أ) **أن تحافظ على الصلوات الخمس مع الجماعة في المسجد:** فقد روى أحمد والنسائي، عن أبي الدرداء– رضي الله عنه–، قال ﷺ: (**ما من ثلاثةٍ فى قريةٍ ولا بدوٍ لا تقامُ فيهمُ الصَّلاةُ إلَّا قدِ استحوذَ عليْهمُ الشَّيطانُ. فعليْكَ بالجماعةِ فإنَّما يأكلُ الذِّئبُ القاصيةَ**) (أخرجه أبو داود (547)، والنسائي (847) واللفظ لهما، وأحمد (21710) باختلاف يسير).

ب) **أن تحافظ على الفرائض وتكثر من النوافل:** وفي الحديث القدسي، **الذي رواه البخاري، عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: (يقولُ اللَّهَ تبارك وتعالى: ما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أفضل من أداء ما افترضتُ عليْهِ، وما يزالُ يتقرَّبُ عبدي إليَّ بالنَّوافلِ حتَّى أحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الَّذي يسمعُ بِهِ وبصرَهُ الَّذي يبصرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يبطشُ بِها ولئن سألني لأعطينَّهُ ولئنِ دعاني لأجيبنه ولئن استعاذَني لأعيذنَّهُ، وما ترَدَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعلُهُ ترَدُّدي عن نفسِ المؤمنِ يَكرَهُ الموتَ وأَكرَهُ مساءتَهُ**) (الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 6502، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]).

ج) **أن تكثر من ذكر الله:** فذكر الله حصن حصين، يشرح النفس ويطمئن القلب، ويصلنا بالله، ويطرح الشيطان. قال تعالى: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:28].

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

وَقَالَ جلَّ وعلا:﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: 1][14]، وَقَالَ جل وعلا: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: 56] ([15]).

د) **أن تديم قراءة القرآن**، فإنه حبل الله المتين، والصراط المستقيم، والنور الهادي، والحياة الدافقة، من أخذ به عصم، ومن عمل به سعد، وهو يقوّم القلوب، ويصلح النفوس، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:9].

هـ) **أن تكثر من الدعاء**: فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60]، وأن تلحَّ على الله أن يثبتك ويحفظك من شياطين الجن والإنس، كما كان يفعل الرسول ﷺ، كما رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد، **عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال:** (كان رسولُ اللهِ ﷺ يُكثرُ أن يقولَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّتْ قلبي على دينِك فقلت يا نبيَّ اللهِ آمنَّا بك وبما جئتَ به فهل تخافُ علينا؟ قال نعم إن القلوبَ بينَ إصبعينِ من أصابعِ اللهِ يُقلِّبُها كيفَ يشاءُ) (أخرجه الترمذي (2140)، وأحمد (13696) باختلاف يسير، وابن ماجه (3834) بنحوه).

و) **الصحبة الطيبة**: وحضور مجالس العلم، والسعي إلى لقاء الإخوة في الله، وسماع الندوات الخيرة، **روى مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال** ﷺ: (ما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلونَ كتابَ اللهِ، ويتدارسونَهُ فيما بينَهم إلَّا نزلَت عليهِم السَّكينةُ، وغشِيَتهُمُ الرَّحمةُ، وحفَّتهُمُ الملائكةُ، وذكرَهُمُ اللهُ فيمَن عندَهُ) (رواه مسلم وأبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم، التخريج: أخرجه مسلم (2699) مطولاً باختلاف يسير).

14 . و﴿وَيْلٌ﴾ كَلِمَةُ وَعِيدٍ وَوَبَالٍ، وَشِدَّةِ عَذَابٍ، لِلَّذِي يَهْمِزُ النَّاسَ بِفِعْلِهِ، وَيَلْمِزُهُمْ بِقَوْلِهِ.

15 . قال ابْنُ كَثِيرٍ- رَحِمَهُ اللهُ- فِي تَفْسِيرِهَا: (أَيْ: إِنَّمَا كَانَ عَمَلِي فِي الدُّنْيَا عَمَلَ سَاخِرٍ مُسْتَهْزِئٍ).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

والتنمُّرُ والسـخريةُ خُلُقٌ دَنيءٌ، وخَصْـلَةٌ ذميمَةٌ، يُصـيبُ أصـحابَ العُقولِ المريضـةِ، والقُلوبِ المَيِّتة، والفِطَرِ المنْكوسَة، ويكفيهِ قُبْحًا وسُوءً أنَّهُ مِن صفاتِ المنافقين.

فالمنافقونَ هُم أكثرُ الناسِ اسـتهزاءً بالرُّسـلِ وأتباعِهِم، وبمَا جاءتْ بهِ الرُّسـلُ عليهمُ السـلامُ من الحقِّ والهُدى، قال جلَّ وعلا في وصْفِهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:14].

والتنمُّرُ والاستهزاءُ والسخريةُ صفةٌ مِن صفاتِ الشيطانِ الرجيمِ إذ أمرَهُ اللهُ بالسجودِ لآدمَ- عليهِ الصـلاةُ والسـلامُ- فأبَى وامتنعَ مسـتهزئًا بآدمَ قائلًا: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف، آية: 12)، فاسـتحقَّ بهذا التنمُّرِ والاسـتهزاءِ أنْ يكونَ مطرودًا مرجومًا ملعونًا محرومًا مِن الجنةِ خالدًا مخلدًا في النارِ وبئسَ المصير.

والتنمُّرُ والاسـتهزاءُ صـفةٌ مِن صـفاتِ اليهودِ الذينَ، قالُوا عن خالقِهِم ورازقِهِم سـبحانَهُ: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾(المائدة، آية: 64).

صور التَّنَمُّر والسخرية والاستهزاء بالناس وأشكالها.

وللسُّخْريةِ والتنمُّرِ والاستهزاءِ من الناس أشكال وصُورٌ عديدةٌ وأشكالٌ كثيرة، وأنواع كثيرة، كلها تدل على نقص في الإيمان، وضعف في الدين، وسخافة عقل وسوء خلق، ومنها ما يلي:-

1) **الاستهزاءُ بالله تعالى، وآياتِه ورسُولِه.**

قال جل وعلا:﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة، آية: 66].

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

2) ومِن صورِ التنمُّرِ والسُّخريةِ والاستهزاءِ.

الاستهزاءُ بأهلِ الفَضْلِ والخيرِ من المؤمنين والمؤمنات: قالَ جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطَّففين، آية:29- 30].

وقالَ جلَّ وعلا: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة، آية: 79].

فَقُلْ لِلَّذِي يُبْدِي الشَّمَاتَةَ جَاهِدًا	سَيَأْتِيكَ كَأْسٌ أَنْتَ لَابُدَّ شَارِبُهُ.

3) العنصرية البغيضة.

إن الإسلام ينظر إلى الناس نظرةَ مساواة من حيث أصل الخِلْقَةِ، فليس هناك جنس يُفضَّل على جنس آخر في الخلقة، بل إن الناس يتساوون في الكرامة، من حيث إنهم جميعًا بنو آدم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء، آية:70].

وإذا كان هناك تفاضل فيما بينهم، فإنما هو يرجع في الأصل إلى الأعمال الفاضلة التي يكتسبونها بجهودهم المشرفة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات، آية:13].

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

أخرج الطبراني والحاكم، عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا جمع اللهُ الأوَّلين والآخِرين لميقاتِ يومٍ معلومٍ، فإذا هم بصوتٍ يسمع أقصاهم، كما يسمعُ أدناهم فيقول: يا أيها الناسُ إني أَنصتُّ لكم منذُ خلقتُكم إلى يومِكم هذا، فأَنصِتوا إليَّ اليومَ.**

إنما هي أعمالُكم تَرِدُ عليكم، أيها الناسُ إني قد جعلتُ نسَبًا وجعلتُم نسبًا فوضعتُم نسَبي ورفعتُم نسبَكم، قلتُ إنَّ أكرمَكم عندَ اللهِ أتقاكم، وأبيتُم إلا أن تقولوا: فلانُ بنُ فلانٍ، وفلانٌ أغنى من فلانٍ، فاليومَ أَضَعُ نسَبَكم، وأرفَعُ نسَبي، أين المتَّقونَ؟ فيُرفَعُ للقومِ لواءٌ، فيتبع القومُ لواءَهم إلى منازِلهم، فيدخلون الجنَّةَ بغير حسابٍ) ([16]).

روى الترمذي، عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، عن النبي ﷺ أنه قال: (**إنَّ اللهَ قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليةِ وفخرَها بالآباءِ، مؤمنٌ تقيٌّ، وفاجرٌ شقيٌّ، أنتم بنو آدمَ، وآدم من تراب، لَيَدَعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوامٍ، إنما هم فحمٌ من فحْمِ جهنمَ، أو لَيَكونُنَّ أهونَ على اللهِ من الجِعْلَانِ التي تدفعُ بأنفْها النَّتِنَ**) ([17]).

---

[16]. أخرجه بنحوه الطبراني في (المعجم الأوسط) (4511)، والحاكم (3726) الراوي: أبو هريرة، المحدث: العراقي، المصدر: تخريج الإحياء للعراقي، الصفحة أو الرقم: 198/4، خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف.

[17] . الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر :صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: 1787، خلاصة حكم المحدث: حسن، أخرجه الترمذي (3955).

شرح الحديث.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وأما الذي يحتقرون الناس لأنهم أغنياء، أو لأنهم في مناصـــب مُغْرِيَّة، أو لأن كلمتهم في الناس مسموعة، أو لأن الشعب يخشاهم ويخافهم، فإنني أقول لهم:

أنهم يجب أنْ يَفْهَمُوا أن وزنهم في نظر دين الله بحســب عملهم الصـــالح النافع لهم ولغيرهم، وأنهم بدون عمل صالح يعملونه ابتغاء وجه الله، ويكون مرسومًا بحدود شريعة الله، فإنهم حينئذٍ أهون على الله، وأحقر من الخنافس والصراصير وحشرات المزابل، كما مرَّ في الحديث النبوي باب الكبر.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "**لَيَنتهِيَنَّ أقوامٌ يَفتَخِرون بآبائِهم الَّذين ماتوا**"، أي: إنَّ النَّبيَّ ﷺ يأمُرُهم أن يَمتنِعوا عن الافتِخارِ بالآباءِ وما لهم مِن نسَـــبٍ، وذلك لِمَن مات على الكُفرِ منهم، "**إنَّما هم**"، أي: هؤلاءِ الآباءُ الَّذين يَفتَخِرون بهم، "**فَحْمُ جَهنَّمَ**"، أي: وَقودُها، "**أو لَيَكونُنَّ**"، أي: الَّذين يَفتَخِرون بنسَبِهم إلى أهلِ الكُفرِ.

"**أهوَنَ**"، أي: أذلُّ، "**على اللهِ مِن الجُعَلِ**"، والجُعَلُ: دُوَيْبَّةٌ سوداءُ، وهي ما تُعرَفُ اليومَ بالخُنفُساءِ، "**الَّذي يُدَهْدِهُ**"، أي: يُدحرِجُ، "**الخِرَاءَ بأَنفِه**"، أي: بواسطةِ أنفِه، والخِرَاءُ: اسمٌ لهيئة ما يُخرِجُه الإنسانُ مِن فَضلاتٍ، والمرادُ: إظهارُ ما يكونُ لهؤلاء المفتَخِرين من الذُّلِّ والهوانِ عندَ اللهِ بأقلَّ مِن هذه الخنفساءِ.

ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ: "**إنَّ اللهَ قد أذهَبَ عنكم**"، أي: أزالَ ورفَع، "**عُبِّيَّةَ الجاهليَّةِ**"، أي: ما كان مِنها مِن كِبْرٍ، "**وفَخْرَها بالآباءِ، إنَّما هو مُؤمِنٌ تقيٌّ، أو فاجرٌ شـــقيٌّ**"، أي: إنَّ المفاضَـــلةَ بينَ العِبادِ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ تكونُ على ما عند الإنســـانِ مِن تَقْوى وإيمانٍ باللهِ تعالى، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: 13].

"**النَّاسُ كلُّهم بَنو آدمَ**"، أي: سَـــواءٌ، "**وآدَمُ خُلِق مِن تُرابٍ**"، أي: بيانٌ لقَدْرِ المادَّةِ الَّتي خُلِقَ منها الإنســـانُ والَّتي لا تُؤسِّـــسُ للفَخرِ والكِبْرِ، بل للتَّواضـــعِ، **وفي الحديثِ**: النَّهيُ عن التَّفاخُرِ والكِبرِ، **وفيه**: الحثُّ على التَّقوى والتَّقرُّبِ بها إلى اللهِ تعالى، **وفيه**: التَّحذيرُ مِن الفُجورِ وكلِّ ما يؤدِّي إليه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

عن المعرور، قال: لقيت أبا ذر بالرَّبَذة وعليه حُلَّة، وعلى غلامه حلة، فســـألته عن ذلك، فقال: (لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بالرَّبَذَةِ، وعليه حُلَّةٌ، وعلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عن ذلكَ، فَقالَ: إنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بأُمِّهِ، فَقالَ لي النبيُّ ﷺ: يا أَبَا ذَرٍّ أعَيَّرْتَهُ بأُمِّهِ؟ إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أيْدِيكُمْ، فمَن كانَ أخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ ممَّا يَأْكُلُ، ولْيُلْبِسْهُ ممَّا يَلْبَسُ، ولَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فأعِينُوهُمْ) ([18]).

---

[18] . الراوي: أبو ذر الغفاري، المحدث: البخاري، المصـــدر: صـــحيح البخاري، الصـــفحة أو الرقم: 30، خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

شرح الحديث.

الإسـلام دِينُ الأخلاقِ العاليةِ والآدابِ الساميةِ مع الناسِ كلِّهم حتى مع الخَدمِ، وهو دِينٌ لم يُفرِّقِ بيْنَ الناسِ ولم يُمايِزِ بيْنَهم بالأنســـابِ ولا الأحســـابِ، ولا بالعِرْقِ ولا باللَّونِ، وإنَّما التَّمايزُ بالتقوَى والعَملِ الصَّـــالحِ، وفي هذا الحَديثِ أنَّ أبا ذَرٍّ – رَضـــيَ اللهُ عنه– كان قدْ شَـــتَمَ رجُلًا وعيَّره بأُمِّه بقولِه: يا ابنَ الأعجميةِ أو يا ابنَ السوداءِ، أو نحوَ ذلِك.

فلمَّا علِمَ النبيُّ ﷺ بذلِك وبَّخَه على ذلك وقال له مُنكِرًا عليه: «أعَيَّرْتَه بأُمِّه؟!» فشَتمْتَه ونَسَبْتَه إلى العارِ بأُمِّه؛ «إنَّك امْرُؤٌ فيكَ جاهليَّةٌ» فالسبُّ والشتْمُ والتعييرُ صِفةٌ مِن صِفاتِ الجاهليَّةِ، وهذا زَجرٌ عن هذا الفِعلِ وتَقبيحٌ له.

ثمَّ قال لـه النبيُّ ﷺ مُعلِّمًا ومُؤدِّبًا ومُعرِّفًا حقوقَ الخَدمِ: «إخوانُكم خَوَلُكم، جَعَلَهم اللهُ تَحتَ أيدِيكم»، أي: خَدَمُكم وعَبيدُكم الذين يَلُونَ أُمورَكم ويُصلِحونها مِن المُسلِمينَ هُم إخوانُكم في الدِّينِ، جَعَلَهم اللهُ سُبحانه وتعالَى تحتَ سُلطانِكم؛ «فمَنْ كان أَخوه تَحتَ يَدِه، فَلْيُطعِمْه مِمَّا يَأكُلُ، ولْيُلبِسْه ممَّا يَلبَسُ، ولا تُكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإنْ كلَّفْتُموهم فَأَعينُوهم».

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

4) **ومن التَّنَمُّر أذى الجار والتسلُّط عليه.**

إخوة الإيمان، ومن مظاهر التَّنَمُّر التي نعاني منها التَّنَمُّرُ على الجيران والتسلط عليهم؛ فعن أبي هريرة– رضي الله عنه–، أن رسول الله ﷺ قال: (**واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ، واللهِ لا يؤمِنُ، قالوا: وما ذاكَ يا رسولَ اللهِ، قال: جارٌ لا يؤمنُ جارُهُ بوائقَهُ، قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما بوائقُهُ؟ قال: شرُّهُ**) ([19]).

فلا تَطلُبوا منهم مِنَ العملِ ما لا يَستطيعونَ فِعلَه، فإنْ أَمَرتُموهم بشَيءٍ مِن ذلك فعليكم إعانتُهم. فلمَّا سَمِعَ أبو ذرٍّ – رَضِيَ اللهُ عنه–، هذا الحديثَ مِنَ النبيِّ ﷺ كان يُلبِسُ خادِمَه ثِيابًا مِثلَه، كما رآهُ المَعرورُ بنُ سُوَيْدٍ في الرَّبَذَةِ– وهو مَوضِعٌ قَريبٌ مِنَ المدينةِ– عليه حُلَّةٌ، وهي ثَوبانِ: إزارٌ وَرِداءٌ، وعلى خادِمِه حُلَّةٌ؛ امتثالًا لِمَا سمِعَه مِنَ النبيِّ ﷺ.

وفي الحديثِ: تَقبيحُ أُمورِ الجاهليَّةِ وأخلاقِها، وأنَّها زائلةٌ بالإسلامِ، **وفيه:** الحثُّ على الإحسانِ إلى الرَّقيقِ والخَدَمِ ومَن في مَعناهم؛ كالأَجيرِ وغيرِه، والرِّفقِ بهم، **وفيه:** تَرْكُ التَّرفُّعِ على المُسلمِ واحتقارِه، **وفيه:** فَضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي ذَرٍّ رَضيَ اللهُ عنه، وبيانٌ لحُسنِ استِجابتِه لأمْرِ النبيِّ ﷺ.

[19] . أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم بعد حديث (6016) باختلاف يسير، وأخرجه موصولاً مسلم (46) مختصراً بنحوه، يقول ابن حجر: (**وهي مبالغة تنبئ عن تعظيم حق الجار، وأن إضراره من الكبائر**).

شرح الحديث.

يُوصينا النَّبيُّ ﷺ دائمًا بالإحسانِ إلى الجارِ ومُعاملتِه مُعاملةً طيِّبةً، والبُعدِ عن إيذائِه، وفي هذا الحَديثِ يُقسِمُ النَّبيُّ ﷺ: «**واللهِ لا يُؤمِنُ، واللهِ لا يُؤمِنُ، واللهِ لا يُؤمِنُ**»، أي: إيمانًا كاملًا، وكرَّرها النبيُّ ﷺ ثلاثًا للتحذيرِ الشَّديدِ، فسأله الحاضِرون: ومَن الَّذي لا يُؤمِنُ؟

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

روى البخاري وأحمد، عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: (قيلَ للنَّبيِّ ﷺ: يا رَسولَ اللهِ! إنَّ فلانةَ تقومُ اللَّيلَ وتَصومُ النَّهارَ وتفعلُ، وتصدَّقُ، وتُؤذي جيرانَها بلِسانِها؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ لا خَيرَ فيها، هيَ من أهلِ النَّارِ، قالوا: وفُلانةُ تصلِّي المكتوبةَ، وتصدَّقُ بأثوارٍ، ولا تُؤذي أحدًا؟ فقال رسولُ اللهِ: هيَ من أهلِ الجنَّةِ) ([20]).

فقال النَّبيُّ ﷺ: «الَّذي لا يَأمَنُ جارُه بَوايِقَه»، والبوايقُ والبوائقُ: جمعُ بائقةٍ، وهي الدَّاهيةُ والبَلِيَّةُ، والفَتْكُ والشُّـــرُور، والظُّلمُ والجَورُ والتَّعدِّي، والمُرادُ: أنَّ المُؤمِنَ لا يَبلُغُ الإيمانَ الكاملَ حتَّى يَمنَعَ أذاهُ وضَـرَرَهُ عن جارِه، **وفي الحَديثِ:** التَّشديدُ في حِفظِ الجارِ مِن الأذَى والضَّـررِ، وفيه: أنَّ أمانَ الجارِ مِن كَمالِ الإيمانِ، وبُلوغِ أعلى دَرَجاتِه.

[20]. أخرجه أحمد (9675)، والبخاري في (الأدب المفرد) (119) واللفظ له، والبزار (9713).

شرح الحديث.

المسلِمُ الحقُّ يُراعي جارَه، ويُؤدِّي له حُقوقَه، وقد جعَل الشَّرعُ على إحسانِ الجِوارِ أجرًا وفَضـلًا، وعلى الإساءةِ إثْمًا ووِزْرًا، **وفي هذا الحَديثِ يقولُ أبو هُريرةَ**– رَضِيَ اللهُ عنه–: "قِيل للنَّبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله، إنَّ فلانةَ"، هذا كِنايةٌ عن اســـمِ امرأةٍ مَعروفةٍ، "تقومُ اللَّيلَ"، أي: تَتهجَّدُ وتَتنفَّلُ في اللَّيلِ، "وتَصـــومُ النَّهارَ"، أي: تَطوُّعًا وقُربةً للهِ.

"وتَفعَلُ، وتَصَـــدَّقُ"، هذا كلُّه كِنايةٌ عن فِعلِها الطَّاعاتِ والعباداتِ، وإكثارِها مِن النَّوافلِ، "وتُؤذِي جِيرانَها بلِسـانِها؟"، أي: تَعتدي عليهم بالقولِ السَّـيِّئِ، وجاء التَّقييدُ باللِّسـانِ للتَّقليلِ مِن الإسـاءةِ والإيذاءِ الذي يَقَعُ منها؛ لأنَّ الإيذاءَ بالفِعلِ أفحشُ وأغْلَظُ، وكذلك فإنَّ أكثرَ ما يقَعُ للجارِ مِن إيذاءٍ إنَّما يكونُ باللِّسانِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

روى أبوداود وابن حبان، عن أبي هريرة– رضـــي الله عنه–، قال: (جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ يَشـــكو جارَهُ ، فقالَ: اذهَب فاصـــبِر فأتاهُ مرَّتينِ أو ثلاثًا، فقالَ: اذهَب فاطرَحْ متاعَكَ في الطَّريقِ فطرحَ متاعَهُ في الطَّريقِ، فجعلَ النَّاسُ يَســـألونَهُ فيُخبِرُهُم خبرَهُ، فجَعلَ النَّاسُ يلعنونَهُ: فعلَ اللَّهُ بِهِ، وفَعلَ، فجاءَ إليهِ جارُهُ فقالَ لَهُ: ارجِع لا تَرى منِّي شيئًا تَكْرَهُهُ) ([21]).

فقال رســـولُ اللهِ ﷺ: "**لا خيرَ فيها، هي مِن أهلِ النَّارِ**!"، أي: إنَّ كثرةَ العباداتِ والطَّاعاتِ لا تُغني عن صاحبِها إذا ما تداخَلَ معها إيذاءُ الآخرينَ، وبالأخصِّ الجيرانُ، حتَّى لو وقَعَ هذا الإيذاءُ بالقولِ دُونَ الفعلِ، "**قالوا**"، أي: صـحابةُ النَّبيِّ ﷺ: "**وفلانةُ تُصلِّي المكتوبةَ**"، أي: تَقتصِـرُ على الفَريضـةِ على عَكسِ المرأةِ الأُولَى التي تُكثِرُ مِن النَّوافِلِ.

"**وتَصَـدَّقُ بأَثْوارٍ**"، أي: القِطَعِ مِن الأَقِطِ، وهو اللَّبنُ المُجفَّفُ، "**ولا تُؤذِي أحدًا، فقال رسـولُ اللهِ** ﷺ: **هي مِن أهلِ الجنَّةِ**"، وذلك ببَركةِ إحسانِها إلى جِيرانِها، ولم يَقَعْ منها ما فيه مَعصيةٌ؛ لأنَّ مَدارَ أمْرِ الدِّينِ على اكتِســـابِ الفرائضِ واجتِنابِ المعاصـــي، **وفي الحديثِ:** التَّحذيرُ مِن الوقوعِ فيما يأكُلُ أَجْرَ الطَّاعاتِ.

[21] . أخرجه أبو داود (5153)، وأبو يعلى (6630)، وابن حبان (520) باختلاف يسير.

شرح الحديث.

حقوقُ الجارِ حُقوقٌ عظيمةٌ في الإسْـــلامِ، وكان النَّبيُّ ﷺ كثيرًا ما يُؤكِّد على عِظَم حقِّ الجارِ وأهمِّيَّتِه.

وفي هذا الحَديثِ يَحكِي الصَّحابيُّ الجَليلُ أبو هُرَيرَةَ– رضِيَ اللهُ عنه–، أنَّه: "**جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ يَشْكو جارَه**"، أي: إنَّه يُؤذيهِ ويَظلِمُه، فقال له النَّبيُّ ﷺ: "**اذْهَبْ فاصبِرْ**"، أي: ارجِعْ إلى دارِكَ واصبِرْ على جارِكَ؛ لَعلَّه يَنتهي عن إيذائِكَ، فرجَعَ الرَّجلُ لكِنَّه لم يلْبَثْ أنْ عادَ مرَّةً أُخرى يَشـــكو من إيذاءِ جارِه

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

5) **الاستهزاء والسخرية من الآخرين.**

ومن مظاهر التَّنمُّر على الآخرين في زمن العولمة كما يقولون، وزمن القنوات الفضـــائية والتمدن والتقدم، ظهرت اللامبالاة في ثياب عصرية بالية، وصار الناس لا يبالون بكثير من أمور الدين الحنيف، فأصبح الحجاب بدعة وتخلفًا، وأصبح الربا فائدة، والجهاد إرهابًا.

وأصبح الذئب راعيًا، والخصم الجائر قاضيًا، ونطق الرُّويبضة، ووُسِّد الأمر إلى غير أهله، وأصبح الاستهزاء والسخرية فنًّا يُخدَم ويُراعى ويُعتنى به، وأصبح يُدرَّس على هؤلاء السفهاء، وأصبحوا يقدمون مكافآت لمن يمارسون ذلك في حياتهم.

له، حتَّى عادَ الرَّجلُ في ذلك مرَّتَينِ أو ثَلاثًا، وفي كلِّ مرَّةٍ يأمُرُه النَّبيُّ ﷺ بالرُّجوعِ والصَّـــبرِ على جارِه، حتَّى جاءَه مرَّةً أُخرى يَشكو ظُلْمَ جارِهِ وإيذاءَه الَّذي لا يَنتَهي.

فقال له النَّبيُّ ﷺ: "**اطْرَحْ**"، أي: ألْقِ وارْمِ، "**مَتاعَكَ**"، أي: أَثاثَ منزِلِكَ ومُقتَنَياتِكَ، "**في الطَّريقِ**"، أي: في الشَّـارِعِ أمامَ المارَّةِ، فأخْرَجَ الرَّجل مَتاعَهُ وأشْـياءَه في الطَّريقِ، "**فجَعَل النَّاسُ يسـألونَه**" أي: عن سَـــببِ ما بِه؟ "**فيُخبِرُهم خَبَرَه**"، أي: يُخبرُهم أنَّ جارَه يُؤذِيهِ وقد أمَرَه النَّبيُّ ﷺ بطَرْحِ متاعِهِ في الطَّريقِ، "**فجَعَل النَّـاسُ يَلْعَنونـه**"، أي: يلْعَنون هذا الجارَ المُؤذي ويدْعون عليهِ ويقولُون: "**فعَلَ اللهُ بـهِ، وفعل، وفعل**"، أي: عاقبَهُ اللهُ ولعَنَه على فِعْلتِه هذه.

فلمَّا رَأى الجارُ المؤذي ذلك؛ مِن دُعاءِ النَّاسِ عليهِ ولَعَناتِهم جاءَ إلى جارِه المَظلومِ فقال لـه: "**ارجِعْ**" أي: إلى بيتِك، "**لا تَرَى منِّي شـــيئًا تَكرَهُه**"، أي: طلَب مِن جارِه أنْ يَرجِعَ إلى دارِه ووعَدَه بأنَّه لن يَرى منه شيئًا يَكرهُ أبدًا، ولن يؤذِيَه مرَّةً أُخرى، وفي الحَديثِ: عِظَمُ حقِّ الجارِ، والتَّحذيرُ من إيذائِه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

والعجب كل العجب أنك ترى أناسًا يسخرون وهم خنازير من الجياد الأصيلة، وكلاب يسخرون بالظِّباء الجميلة، وتراهم كَذَبَة يستهزؤون بالصادقين، وخونة يسخرون من الأمناء، وجبناء يسخرون من الشجعان، ومنافقين يسخرون من الصادقين.

فأصبح أصحاب العفن الفني يسخرون من العلماء والخلفاء والأمراء، وأصبح السفهاء يسخرون بكل شيء؛ فهذا يسخر بالقرآن، وآخر يسخر بالسنة، وآخر يسخر بالمؤمنين والمؤمنات.

فيا من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، كفُّوا عن هذا الغثاء، وهذا العفن، ويا من لا تبالي بالاستهزاء، هيا لتعرف حقيقة الاستهزاء والسخرية، وموقف الشرع منهما.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات، آية: 11].

والسخرية: التحقير والاستهزاء، وتارة تكون بالتضحيك منه، والتشهير به، وتارة يحطه عن درجة الاعتبار، وإلحاقه بمن لا حرمة له ولا قيمة.

حدثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم: أن رجلاً من المنافقين، قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك: (ما لقُرَّائنا هؤلاء أرغبُنا بطونًا وأكذبُنا ألسنةً، وأجبُننا عند اللقاء! فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله ﷺ! فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

قال زيد: قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقًا بحَقَب ناقة رســـول الله ﷺ تنكبُهُ الحجارة، يقول: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾! فيقول له النبي ﷺ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُـــولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ما يزيده) ([22]).

---

[22] . تفسير الطبري: ابن جرير الطبري (310 هـــ) قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

من هو الصّـحابيّ الّذي عفا الله عنه في آية: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾؟ السـؤال: ما اسـم الصّـــحابيّ الّذي عفا الله عنه، والمقصـــود بقوله تعالى﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾؟ ومن هم المنافقون المقصـودون بقوله تعالى ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ وما هي قصّـة هذا الصّـحابيّ وهؤلاء المنافقين؟ وما هي العبر المستفادة من هذه القصّة؟

الجواب: الحمد لله.

أولًا: قال تعالى:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة، آية:65 – 66)، **للعلماء في الآية قولان، وهما كما يلي:**

1. أن المراد بالطائفة في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ رجلٌ، وهو: مَخْشِـــيّ بن حُمَيّر الأشـجعي، والسـبب في عفو الله عنه أنه أنكر كلامهم ورفضـه، **قال ابن إسـحاق:** "كان الذي عفي عنه، فيما بلغني: مخشـي بن حمير الأشـجعي، حليف بني سـلمة، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع" انتهى من"جامع البيان"(11/ 546).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

عن معمر، قال: "قال بعضهم: كان رجل منهم لم يُمالئهم في الحديث، فيسير مجانبا لهم، فنزلت: إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة [التوبة: 66] فسمي طائفةً، وهو واحد"، انتهى من "جامع البيان"(11/ 547).

2. أن المراد بالطائفة في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾، جماعة، والمعنى عندهم: "إن تتب طائفة منكم فيعفو الله عنهم، يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة"، "جامع البيان"(11/ 547).

ثانيًا: أما قصتهم.

فهي: " كان رهط من المنافقين منهم: وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ورجل من أشجع يقال له: مَخْشي بن حميّر، قال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا؟ والله لكأنا بكم غدا مُقَرَّنِين في الحِبال، إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين، فقال مخشي بن حمير: والله لوددت أني أقاضى، على أن يُضرب كل رجل منا مائة جلدة، وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

في هذه الفترة قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر – رضي الله عنه–: "أدرك القوم، فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى، قلتم كذا وكذا".

فانطلق إليهم عمار – رضي الله عنه– فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت: يا رسول الله! إنا كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66) ﴾ (التوبة، آية: 46–66)، "اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون"(4/ 291).

وأمَّا قائل المقالة، فهو كما قال ابن إسحاق: كان الذي قال هذه المقالة، فيما بلغني: وديعة بن ثابت، أخو بني أمية بن زيد من بني عمرو بن عوف، عن زيد بن أسلم: أن رجلاً من المنافقين، قال

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

لعوف بن مالك في غزوة تبوك: (**ما لقرائنا هؤلاء: أرغبنا بطوناً، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء؟ فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه**).

فقال زيد: قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ، تنكبه الحجارة، يقول: ﴿**إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾ [التوبة: 65] فيقول له النبي ﷺ: ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾، "تفسير الطبري"(11/ 542).

وقد رد عليه تلك المقالة مخشي بن حميّر، فعن عكرمة، في قوله: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾ [التوبة: 65] إلى قوله: ﴿**بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [التوبة: 66] قال: فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه، يقول: اللهم إني أسمع آية أنا أُعنى بها، تقشعر منها الجلود، وتجل منها القلوب، اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت، قال: فأصيب يوم اليمامة، فما من أحد من المسلمين إلا وُجِد، غيرُه"، "تفسير الطبري"(11/ 544).

وروى ابن أبي حاتم: (6/ 1831) عن كعب بن مالك قال: "قال مخشي بن حمير: لوددت أني أقاضى على أن يُضرب كل رجل منكم مائةً مائةً، على أن ننجو من أن ينزل فينا قرآن، فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عما قالوا، فإن هم أنكروا وكتموا، فقل: بلى، قد قلتم كذا وكذا، فأدركهم فقال لهم: الذي أمر به رسول الله ﷺ فجاءوا لرسول الله ﷺ يعتذرون.

وقال مخشي بن حمير: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي فأنزل- الله تعالى- فيهم: ﴿**لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ فكان الذي عفا الله عنه: مخشي بن حمير، فتسمى: عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمقتله، فقتل يوم اليمامة لا يعلم مقتله ولا من قتله ولا يرى له أثر ولا عين".

ثالثًا: أمَّا مخشي.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

فهو : مَخْشي بن حمير الأشجعي، قال ابن حجر: ذكر في "مغازي ابن إسحاق" في غزوة تبوك، وفي "تفسير الكلبي" بسنده إلى ابن عباس، وبسند آخر إلى ابن مسعود أنه ممن نزل فيه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾ وأنه قال: يا رسول الله غيّر اسمي واسم أبي، فسماه عبد الله بن عبد الرحمن، قال ابن عبد البر: تاب وحسنت توبته، "الاستيعاب" لابن عبد البر (10/ 54)، "الإصابة" لابن حجر (9/ 149).

رابعًا: أما عن فوائد هذه الآية، وتلك القصة.

فقد ذكر بعضها العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي، فقال في تفسيره: (ص: 342): كانت هذه السورة الكريمة تسمى "**الفاضحة**" لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال الله يقول: ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم، **إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين:**

- ✓ **إحداهما:** أن الله سَتِيرٌ يحب الستر على عباده.
- ✓ **الثانية:** أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف.

قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا﴾، وقال هنا: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزل عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي تخبرهم وتفضحهم، وتبين أسرارهم حتى تكون علانية لعباده، ويكونوا عبرة للمعتبرين.

﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾ أي: استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية، ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾؛ وقد وفَّى تعالى بوعده، فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم وهتكت أستارهم، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ عما قالوه من الطعن في المسلمين وفي دينهم، يقول طائفة منهم في غزوة تبوك: "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء – يعنون النبي ﷺ وأصحابه– أرغب بطونا، وأكذب ألسنا، وأجبن عند اللقاء" ونحو ذلك، ولما بلغهم أن النبي ﷺ قد علم بكلامهم، جاءوا يعتذرون إليه ويقولون ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾؛ أي نتكلم بكلام لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

قال الله تعالى- مبيناً عدم عذرهم وكذبهم في ذلك-: ﴿قُلْ لهم أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾؛ فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين، لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاءُ بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة.

ولهذا لما جاءوا إلى الرسول يعتذرون بهذه المقالة والرسول لا يزيدهم على قوله: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ لتوبتهم واستغفارهم وندمهم: ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً مِنْكُم﴾ بِأَنَّهُمْ بسبب أنهم كَانُوا مُجْرِمِينَ مقيمين على كفرهم ونفاقهم.

وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة، خصوصاً السريرة التي يمكر فيها بدينه، ويستهزئ به وبآياته ورسوله؛ فإن الله تعالى يظهرها، ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشد العقوبة، ووأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك أو تنقصه، أو استهزأ بالرسول أو تنقصه؛ فإنه كافر بالله العظيم، وأن التوبة مقبولة من كل ذنب وإن كان عظيمًا.

وفي الآيات الكريمات من الفوائد أيضاً: أهمية صحبة الأخيار، وترك صحبة الفجار، لأنهم يأخذون الإنسان إلى ما يغضب الله، وقد يكونون وبالًا عليه إن لم ينكر مقالاتهم الباطلة، والحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أهمية الحمية لدين الله، وألا يرضى الإنسان بأن ينتقص الدين وهو شاهد، معرفة صفات المنافقين، للابتعاد عنها، ومعرفة صفات المؤمنين، للتحلي بها.

وأن يتوب الإنسان من كل ذنب مهما عظم ، لأن الله أجل وأعظم، أن يحرص الإنسان على تطهير سريرته، وتعاهد نفسه بالنصيحة بتعظيم أمر الله وشرعه، إخفاء العمل الصالح من صفات المؤمنين، كما أخفاه الصحابي مخشي بن حمير، وفضل أصحاب رسول الله ﷺ، وحميتهم لدينهم ، فإنهم حرصوا أن يبلغوا الرسول ﷺ بمقالة المنافقين ليعاقبوا، والاستهزاء بالدين أو الرسول أو الله سبحانه وتعالى كافرٌ وإن ادعى غير ذلك، والله أعلم [من هو الصّحابيّ الّذي عفا الله عنه في آية: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

وكما يقول القائل: هو أحقر من أن يُذْكَرَ.

وأمثلة قول ذلك الشاعر كثيرة، مما يدل على احتقار الإنسان لأخيه، واستصغاره لشأنه، وازدرائه لحقِّه وحُرمتِه وعدم العناية به، وهذا إن حَدَثَ بين المسلم وأخيه، فهو ضربة موجعة للرابطة التي تجمع بينهما؛ لأنه لا يليق ولا يجوز بين المتفقين في عقيدة واحدة، فهذه العقيدة أقوى وآصل، وأبقى وأشرف.

فكيف لا يبالي بحرمة أخيه الذي أمره سبحانه وتعالى ألَّا يسخر ولا يستهزئ منه؟ بل هم جميعًا أمام الله ورسوله سواءٌ، لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ولذا جاء الخطاب للأمة الإسلامية بجميع أفرادها، تنهاهم عن السخرية والاستهزاء؛ فقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ**﴾ [الحجرات، آية:11] ([23]).

مِذْكُمْ﴾؟،موقع الإسلام سؤال وجواب، تاريخ الاطلاع: 2-2-2023م، متاح على رابط: (https://islamqa.info).

[23] . قال العلَّامة ابن كثير – رحمه الله–: ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم؛ كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ**)(الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: مسلم، المصدر : صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 91، خلاصة حكم المحدث: [صحيح] التخريج : من أفراد مسلم على البخاري).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

6) **التَّنَمُّر على خلق الله بالهمز واللمز.**

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات، آية:11]؛ أي لا تلمزوا الناس، والهمَّاز اللمَّاز من الرجال مذموم ملعون؛ كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة، آية:1]، والهمز بالفعل واللمز بالقول.

كما قال عز وجل: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم، آية:11]؛ أي: يحتقر الناس ويهمزهم طاغيًا عليهم، ويمشي بينهم بالنميمة وهي اللمز بالمقال؛ ولهذا قال ها هنا: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات، آية: 11]، كما قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء، آية: 29]؛ أي: لا يقتل بعضكم بعضًا.

قال ابن عباس ومجاهد، وسعيد بن جبير وقتادة، ومقاتل بن حيان: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات، آية:11]؛ أي: لا يطعن بعضكم على بعض، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات، آية:11]؛ أي: لا تتداعَوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها.

التنابُزُ التداعي بالألقاب القبيحة: يا حمار، يا فاجر، يا كافر، يا قبيح، يا أعرج، يا كذا، يدعوه بألقاب لا يرضاها، هذا أيضًا من أسباب الشحناء والعداوة والبغضاء، وربما أفضى إلى القتال والفتن.

والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام فإنه قد يكون المحتقَر أعظم قدرًا عند الله تعالى، وأحب إليه من الساخر منه المحتقِر له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ [الحجرات: آية: 11]، فنصَّ على نهي الرجال، وعطف نهي النساء.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

فالواجب أن يدعوه بالأسماء الطيبة، والأسماء التي يحبها: يا فلان، يا محمد، يا أبا عبدالله، أما أن يدعوه بأسماء أو بعبارات وألقاب يكرهها، فهذا هو التنابز بالألقاب، فيجب الحذر من ذلك؛ لئلا يجر إلى الفتن والشحناء، والعداوة والبغضاء.

ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات، آية:11]، فبيَّن لنا أن من تعاطى هذه الأمور يكون فاسقًا، فكيف يرضى بحاله أن يكون بعد الإيمان فاسقًا خارجًا عن طاعة الله جل وعلا؟ والفسوق هو الخروج عن الطاعة.

هناك الكثير من قصص السلف الصالح المرتبطة حول حكم التَّنَمُّر في الإسلام، فكان التنمر على أحد الصحابة من دقة ساقية، وتأتى الإجابة من رسول الله ليرفع من صاحبها أمام المتنمرين به، بل ويعطي الأوسمة والنياشين، ويجبر بخاطر صاحبها.

عن عبدالله بن مسعود– رضي الله عنه–، قال: (كنتُ أجتني لرسولِ اللهِ ﷺ سواكًا من الأراكِ، فكانت الريحُ تكفؤُه، وكان في ساقِه دِقَّةٌ، فضحك القومُ، قال النبيُّ: ﷺ ما يُضحِكُكم، قالوا: من دِقَّةِ ساقَيه، قال النبيُّ ﷺ والذي نفسي بيده لهما أثقلُ في الميزان من أُحُدٍ)[24].

---

[24] . الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: الألباني، المصدر: إرواء الغليل، الصفحة أو الرقم: 104/1، خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن.

شرح الحديث.

كانَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ– رَضيَ اللهُ عنه– مِن مَشاهيرِ الصَّحابةِ وعُلَمائِهم، وله فَضلٌ كَبيرٌ في الإسلامِ، وهو سادِسُ مَن دَخَلوا الإسلامَ في أوَّلِ مَبعَثِ النَّبيِّ ﷺ، **وفي هذا الحَديثِ يقولُ** عليُّ بنُ أبي

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

7) **الاستهزاء بأهل الفضل والخير من المؤمنين والمؤمنات.**

ولا يستهزئ بأهل الفضل ويسخر منهم إلا مريض القلب عديم الإيمان، قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [البقرة:212]. وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ**﴾ [المطَّففين، آية:29-30].

وقد بين الله تعالى أن السخرية من المؤمنين صفة من صفات المنافقين، فقال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ ([25]).

طالِبٍ- رَضيَ اللهُ عنه-: "**أمَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ ابنَ مَسعودٍ، فصَعِدَ شَجَرةً يَأتيه منها بشَيءٍ**" يَجتَني بَعضًا مِن ثِمارِها، **وفي رِوايةٍ لِأحمَدَ**: "**يَجتَني سِواكًا مِنَ الأراكِ**".

قالَ عليٌّ- رَضيَ اللهُ عنه-: "**فنَظَرَ أصحابُه إلى ساقِ عَبدِ اللهِ، فضَحِكوا مِن حُموشةِ ساقَيْه**" مِن دِقَّةِ ساقَيْه ونَحافَتِهما، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: "**ما تَضحَكونَ؟!**" أنكَرَ النَّبيُّ ﷺ عليهم ضَحِكَهم، ثم قالَ: "**لَرِجْلُ عَبدِ اللهِ أثقَلُ في المِيزانِ يَومَ القِيامةِ مِن أُحُدٍ**".

وهذا بَيانٌ لِفَضلِ ابنِ مَسعودٍ- رَضيَ اللهُ عنه-، ومَنقَبتِه في الإسلامِ، ولِبَيانِ أنَّ العِبرةَ في هذا الدِّينِ ليست بفَضلِ نَسَبٍ ولا قُوَّةِ جَسَدٍ؛ وإنَّما بفَضلِ ما بَذَلَه الإنسانُ لِدِينِ اللهِ- عَزَّ وجَلَّ-، ونَفَعَ به غَيرَه. وحاصِلُ هذا الحَديثِ يَرجِعُ إلى قَولِه ﷺ: "**إنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكم وأموالِكم، ولكِنْ يَنظُرُ إلى قُلوبِكم وأعمالِكم**" أخرَجَه مُسلِمٌ. **وفي الحَديثِ**: إثباتُ الميزانِ يَومَ القيامةِ.

[25] . **ويبين ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي مسعود- رضي الله عنه-، قال: "لما أمِرْنا بالصدقة كنا نحامل، أي نتكلف الحمل على ظهورنا بالأجرة لنكتسب ما نتصدق به- فجاء أبو عَقِيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن**

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

فالمؤمن لا يليق به أن يسخر من إخوانه، ولا أن يحتقرهم ويعظم نفسه، بل يتواضع لهم، ويحبهم ويعينهم على الخير... ورحم الله بكر بن عبد الله حين قال: إذا رأيت من هو أكبرُ مني سناً، قلت: سبقني بالإسلام والعمل الصالح، فهو أفضل مني.. وإذا رأيت من هو أصغرُ مني سناً، قلت: سبقته بالذنوب وارتكاب المعاصي، فهو أفضل مني.. وإذا رأيت إخواني يكرمونني قلت: نعمة تفضلوا بها عليّ.. وإذا رأيتهم يقصّرون في حقي، قلت: مِن ذنب أصبته.

8) **السخرية من الناس لعيب في خِلقتِهم وصورتهم.**

فمن الناس من يسخر من عباد الله لضعف في قوتهم، أو تشوه في صورتهم، أو إعاقة في حركاتهم... ولا يليق هذا بمؤمن موقن بأن الله تعالى هو الخالق الواهب، قال تعالى: ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾.

روى أبو داود، والترمذي، عن عائشة- رضي الله عنها-، قالت: قلت للنّبيّ ﷺ: (قلتُ للنبيِّ ﷺ حسبُك من صفيةَ كذا وكذا، قال: غيرُ مُسَدِّدٍ تعني قصيرةً، فقال: لقد قلتِ كلِمَةً لو

صدقة هذا، وما فعل هذا الآخرُ إلا رئاء، فنزلت: ﴿الذين يَلمِزُون المُطوّعِين من المؤمنين في الصّدَقات، والذين لا يَجدُون إلا جُهْدَهُمْ﴾ الآية". [التوبة: 79].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (وهذه- أيضاً- من صفات المنافقين، ألا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم، إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا: هذا مُرَاء! وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

مُزِجت بماءِ البحرِ لمزجته، قالت: وحكيْتُ له إنسانًا، فقال: ما أُحِبُّ أني حَكيْتُ إنسانًا وأن لي كذا وكذا) ([26]).

---

[26]. أخرجه أبو داود (4875) واللفظ له، والترمذي(2502) أي: لو خالطت هذه الكلمة ماء البحر لتغير بها طعمه أو ريحه لشـــدة نتنها وقبحها. والحديث أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي، وقال حســـن صحيح.

شرح الحديث.

الإسلامُ دينُ الأخلاقِ الحسَنةِ، وقد أمَرَ بحفظِ الأعْراضِ مِن أنْ تُنتَهكَ بالقولِ أو الفِعلِ؛ لأنَّه ممَّا يورِثُ العَداوةَ والبَغضـاءَ بينَ المسـلِمينَ، وفي هذا الحديثِ تقولُ عائشـةُ- رضِـيَ اللهُ عنها-: "**قلتُ للنبيِّ ﷺ: حَسبُكَ من صفِيَّة**"، أي: من عُيوبِها، وصـفِيَّةُ هيَ بنتُ حُيَيّ، زَوجُ النبيِّ ﷺ، "**كذا وكذا**"؛ قال غيرُ مُسدَّدٍ وهوَ ابنُ مُسرْهَدٍ، أي: **في روايتِهم الحديثَ**: "تعني قَصِيرةً"، أي: إنَّ مِن عيوبِها كونَها قَصيرةً.

فقالَ النبيُّ ﷺ: "**لقدْ قُلتِ كلِمةً لوْ مُزِجتْ بماءِ البَحرِ لمزَجَتْه**"، أي: إنَّ ذِكرَكِ صَفِيَّةَ بتلكِ الكلِمةِ لو خُلِطَتْ بماءِ البحرِ لغيَّرتْ لونَه أو رِيحَه، وهذا يُبيِّن قُبْحَ هذه الكلِمةِ، وما فيها مِن الغِيبةِ.

قالتْ عائِشـةُ- رضِـيَ اللهُ عَنها-: "**وحَكيتُ لهُ إنْسـانًا**"، أي: وقلَّدتُ له إنْسـانًا في هَيئةٍ أوْ صِـفةٍ تَقبيحٍ لهَ، فقالَ النبيُّ ﷺ: "**ما أُحِبُّ أنّي حَكيتُ إنْســـانًا وأنَّ لي كذَا وكذَا**"، أي: لا أحِبُّ تَقليدَ الناسِ ومُحاكاتَهم، ولَو أخذتُ على ذلِكَ الكثيرَ والكثيرَ مِن المالِ أو المتاعِ، وهذا لبَيانِ شِـــدَّة كراهتِه لهذا الفِعلِ على كلِّ حالٍ، وتكونُ الكَراهةُ أشدَّ إذا كانَ على جِهة الاستِهزاءِ والسُّخريةِ والتَّنقيصِ.

وفي الحديثِ: التَّحذيرُ والتَّرهيبُ مِن الغِيبةِ، والتَّحذيرُ والزَّجرُ عن التَّقليدِ ومُحاكاةِ الناسِ، وخاصَّـةً على جِهةِ الاستِهزاءِ بهم.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

فإذا رأيتَ مبتلى في بدنه فاحمدِ الله الذي عافاك مما ابتلاه به، وسـل الله تعالى له الشـفاء والعافية، وقدم له من المعونة ما تستطيع، وأشْعِرْه أنك تحبه وتتضامن معه.

فالله هو الخالق؛ ومن تمام عدله سبحانه أنه لا يحاسب الناس على أشكالهم وألوانهم وصورهم؛ إذ هو خالقهم سبحانه، ولكن يحاسبهم على أعمالهم وأقوالهم.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللهَ تعالى لَا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوالِكُمْ، ولكنْ إِنَّما ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم) ([27]).

---

[27] . الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصـدر : صـحيح الجامع، الصـفحة أو الرقم: 1862، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

شرح الحديث.

علَّمَنا النبيُّ ﷺ أنَّ الناسَ لا تَتفاضَـلُ بحُسْـنِ المظاهِرِ أو كَثرةِ الأموالِ، وإنما تتفاضـلُ بطَهارةِ القلوبِ، والخَشيةِ من اللهِ، والسَّعيِ في الأعمالِ الصالحةِ، كما في هذا الحَديثِ، حيثُ يقولُ النبيُّ ﷺ: "**إنَّ اللهَ تعالى لا يَنظُرُ إلى صُـوَرِكم، وأموالِكم**"، أي: إنَّ اللهَ سـبحانه وتعالى لا يَنظُرُ إلى أجسـامِ العبادِ؛ هلْ هي كَبيرةٌ أو صَـغيرةٌ، أو صَـحيحةٌ أو سَـقيمةٌ، ولا يَنظُرُ إلى الصُّوَرِ؛ هل هي جميلةٌ أو ذَميمةٌ؛ ولا يَنظُرُ إلى الأموالِ كثيرةٍ أو قليلةٍ؛ فلا يُؤاخِذُ اللهُ عزَّ وجلَّ عبادَه، ولا يُحاسبُهم على هذه الأمورِ وتَفاوُتِهم فيها.

"**ولكنْ يَنظُرُ إلى قُلوبِكم**"، أي: إلى ما فيها من التَّقْوى واليقينِ، والصـدقِ والإخلاصِ، وقصـدِ الرياءِ والسُّمعةِ، وسائرِ الأخلاقِ الحَسنةِ والقبيحةِ، "**وأعمالِكم**"، أي: وينظُرُ إلى أعمالِكم من حيثُ صلاحُها وفسادُها؛ فيثيبُ ويُجازي عليها؛ فلَيسَ بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ خلْقِه صِلةٌ إلَّا بِالتَّقْوى؛ فمَنْ كان للهِ أتْقَى كان من اللهِ أقربَ، وكان عندَ اللهِ أكرمَ؛ إذَنْ فعلى المَرْءِ ألَّا يَفخرَ بمالِه ولا بِجَمالِه ولا ببدنِه ولا بأولادِه ولا بِقُصـورِه، ولا بِشـيءٍ من هذه الدُّنْيا أبدًا، إنَّما إذا وفَّقه اللهُ لِلتَّقوى؛ فهذا من فَضـلِ اللهِ عليه؛ فَلْيحمدِ اللهَ عليه، وإنْ خُذِلَ فلا يَلومَنَّ إلَّا نفْسَه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

9) **الاستهزاء بالمقصّرين المذنبين من المسلمين.**

وكلنا مذنبون وكلنا مقصرون، ومن ادعى الكمال لنفسه فهو متكبر مغرور؛ إذ لا كمال في كل جميل وجليل إلا لله رب العالمين، ولا كمال في الطاعة والعبادة إلا لأنبياء الله ورسله الذين عصمهم الله واصطفاهم واجتباهم.

وإذا كنا نعترف أننا مقصرون مذنبون، فعلينا أن نتعاون ونتآزر ونتناصح، لا أن يسخر بعضنا من بعض، أو يحتقر بعضنا بعضاً، ويعظم نفسه ويمدحها، والله تعالى يقول: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾، أي لا تمدحوها معجبين بها.

فإذا رأيت مِن أخيك شيئاً من مخالفة الشرع فإياك أن تسخر منه، وإياك أن تحتقره، وإياك أن تشمت به فتعِينَ الشيطان عليه.

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه-: (أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: اضْرِبُوهُ- قَالَ أبو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، والضَّارِبُ بِثَوْبِهِ- فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ! قَالَ: لا تَقُولوا هَكَذَا؛ لا تُعِينُوا عليه الشَّيْطَانَ) ([28]).

وفي الحديثِ: الحثُّ على الاعتمادِ على النيةِ وحُسنِ القصدِ، والتَّحذيرُ من الركونِ إلى الظاهرِ دُونَ إصلاحِ الباطِنِ، وفي الحديث: بيانُ أثرِ القَلبِ في صَلاحِ الجَوارحِ وفَسادِها

[28] . الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: 6777، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

شرح الحديث.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

إذا رأيتَ إنســـاناً على معصـــية، فإياك أن تقول: (**هذا لا يُغفرُ له، وهذا لا تقبل توبته، فأنت بذلك تتألى على الله وتتطاول على حكمه، والله أحكم وأعلم وأعدل**) فقد يمنّ عليه بتوبة نصوح قبل مماته فيكون من الناجين، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ لما دعا على نفر من كفار قريش: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [آل عمران، آية:128].

شُـرْبُ الخَمْرِ مِن المَعَاصِـي والجَرائمِ التي تَسـتوجِبُ العُقوبةَ، وإقامةُ الحَدِّ على العاصـي يكونُ مَطهَرةً للمُذنِبِ، وينبغي للمُجتَمَعِ أن يأخُذَ بيَدِ المُذنِبِ بعد العُقوبةِ؛ ليُبعِدَه عن طريقِ الغِوايةِ والشَّـرِّ، ولا يتلَقَّوه بالمعايَرةِ والتقبيحِ.

وفي هذا الحَديثِ يروي أبو هُرَيرةَ- رَضِـيَ اللهُ عنه- أنَّه جِيءَ إلى النَّبيِّ ﷺ برجُلٍ قدْ شَـرِب خمْرًا، والخَمرُ: كُلُّ ما كان سـببًا في الإسـكارِ وتَغييبِ العَقْلِ، فقال ﷺ للصَّـحابةِ- رَضِـيَ الله عنهم-: «**اضْرِبُوه**»، ولم يُحدِّدْ لهم عدَدًا ولا صِفَةً للضَّربِ، قال أبو هُرَيْرَةَ- رَضِيَ الله عنه-: «**فمِنَّا الضَّارِبُ بيَدِه، والضَّاربُ بنَعْلِه**» وهو ما يُلبَسُ في القَدَمِ، «**والضَّاربُ بثَوْبِه**» أي: بَعْدَ فتْلِه؛ للإيلامِ.

فلمَّا انصـرَف الرَّجُلُ بعد الانتهاءِ مِن ضَـرْبِه، قال بعضُ القومِ -قيل: هو عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ-: «**أَخْزَاكَ اللهُ!**» أي: أذَلَّكَ اللهُ وأهانَكَ، فنهاهم النَّبيُّ ﷺ عن ذلك؛ لأنَّه قدْ يكونَ هذا سببًا في غَلَبَةِ الشَّيطانِ عليه؛ لذا قال ﷺ: «**لا تُعِينوا عليه الشَّيطانَ**»، وفي روايةٍ عند البُخاريِّ: «**لا تَكونوا عَوْنَ الشَّيطانِ على أخيكم**»؛ لأنَّ الشَّـيطانَ يريدُ بتزيينِه له المعصـيةَ أن يحصُـلَ له الخِزْيُ، فإذا دَعَوا عليه بالخِزْيِ فكأنَّهم قد حَصَّلوا مقصودَ الشَّيطانِ، أو لأنَّه إذا سمع منكم ذلك انهمك في المعاصي، وحمله العِنادُ والغَضَبُ على الإصرارِ، فيصيرُ دعاؤُكم معونةً في إغوائِه وتسويلِه.

وفي الحَديثِ: النَّهيُ عن لَعْنِ شـــاربِ الخَمْرِ، وأنَّه ليسَ بخارجٍ مِن الملَّةِ، وفيه: رعايةُ الشَّـــرعِ لأحوالِ المُذنِبِ بعد إقامةِ العُقوبةِ عليه، بعدَمِ تعييرِه بها.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله- رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ حدث: (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: واللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، وإنَّ اللَّهَ تَعالَى قالَ: مَن ذا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ، فإنِّي قدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ، أوْ كما قالَ) ([29]).

---

[29]. الراوي: جندب بن عبدالله، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2621، خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

شرح الحديث.

نَهى الإسلامُ وحذَّر مِن احتقارِ النَّاسِ وتَنقيصِهم، أو تَقنيطِهم مِن رَحمةِ اللهِ وغُفرانِه، أو التَّرفُّعِ عليهم بالأعمالِ الصَّالحةِ؛ لأنَّ اللهَ سُبحانَه وتَعالَى بيَدِه مَقاليدُ الأمورِ، والقلوبُ بيْن يَدَيه يُقلِّبُها كيْف يَشاءُ، ويَحكُمُ في خَلقِه بما شاءَ.

وفي هذا الحديثِ يَذكُرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ رَجلًا مِن بَني إسرائيلَ -كما في رِوايةِ أبي داودَ مِن حَديثِ أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه- قال: «واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لِفلانٍ» مِن النَّاسِ، فعيَّنَه بشَخصِه، وقالَ ذلك بسَببِ كَثرةِ ذُنوبِه أو أنَّها مِن الكبائرِ، أو تَعظيمًا لنَفْسِه لمَّا رَأى نفْسَه على الطَّاعةِ وغيْرَه على المعصيةِ، وظاهرُ قَسمِه أنَّه قَطَع بأنَّ اللهَ تعالَى لا يَغفِرُ لذلكَ الرَّجلِ، وكأنَّه حَكَم على اللهِ تعالَى، وحَجَر عليه، وهذه نَتيجةُ الجهلِ بالأحكامِ الإلهيَّةِ، والإدلالِ على اللهِ تعالَى بما اعتَقَد أنَّ له عندَه مِن الكرامةِ، والحظِّ، والمكانةِ، أو اعتقادِه في المُذنِبِ أنَّ مِثلَه لا يُغفَرُ له ذَنْبُه، أو أنَّ مِثلَ هذا الذَّنْبِ لا يُغفَرُ لمِثلِه.

فَقال ربُّ العزَّةِ مُعقِّبًا على قَولِ هذا الرَّجلِ: «مَن ذا الَّذي يَتَأَلَّى عَليَّ؟!» أي: يَتحَكَّمُ عليَّ ويَحلِفُ باسمِي أنِّي لَا أَغفِرُ لفُلانٍ؟! وهذا الاستفهامُ يُرادُ به الإنكارُ والوعيدُ وبَيانٌ لعَظيمِ وقُدرتِه ورَحمتِه بالعِبادِ؛ فهو أعلَمُ بهم، وهو وحْدَه القادرُ عليهم، ولذلك قال تعالَى: «فإنِّي قدْ غَفرتُ لفُلانٍ» المحلوفِ عليه بأنَّ اللهَ لا يَغفِرُ له، «وأَحبَطْتُ عَملَك» أيُّها الحالِفُ، فأَذهبتُه سُدًى وأَبطلْتُه، فحَصَل بذلك أنْ أوبَقَتْ هذه

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

لا تسخر من أخيك لذنب ارتكبه، بل انصحْه ووجِّهه، فالدين النصيحة، أما أن تضحك منه وتجعلَه حديثَ مجالسك تتحدَّث عن سيئاته وعن أخطائه فليس ذلك من شيم المسلم ولا من أخلاقه.

عاقبة المستهزئين.

الكلمةُ دُنياهُ وآخِرتَه؛ وذلك لأنَّه قالَ ما قالَ إعجابًا بعَملِه، وإعجابًا بنَفسِـــه، واســـتِكبارًا عَلى عِبادِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وقولُه: «**أوْ كما قالَ**» هو شكٌّ مِن الرَّاوي، وتَنبيهٌ على النَّقلِ بالمعنى؛ لئلَّا يُتوهَّمَ نقْلُ اللَّفظِ أيضًا. قِيل: ويَنْبغي للرَّاوي وقارئِ الحديثِ إذا اشتَبَه عليه لَفظةٌ، فقَرَأها على الشَّكِّ أنْ يقولَ بعْدَه: «**أوْ كما قالَ**»، ومِثلُه الَّذي يَرْوي الحديثَ بالمعْنى.

وقدْ جاء في حَديثِ أبي داودَ مَزيدُ تَفصـــيلٍ وبَيانٌ للقصَّـــةِ، وأنَّه ﷺ قال: «**كان رجُلانِ في بَني إســـرائيلَ مُتواخِيَين، فكان أحدُهما يُذنِبُ، والآخَرُ مُجتهِدٌ في العبادةِ، فكان المجتهِدُ لا يَزالُ يَرى الآخَرَ على الذَّنْبِ، فيقولُ: أقْصِـــرْ، فوَجَده يومًا على ذنْبٍ، فقال له: أقْصِـــرْ، فقال: خَلِّني ورَبِّي، أبُعِثْتَ علَيَّ رَقيبًا؟! فقال: واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لكَ، أو لا يُدخِلُك اللهُ الجنَّةَ، فقَبَض أرواحَهما، فاجتَمَعا عندَ ربِّ العالَمِين، فقال لهذا المجتهِدِ: أكُنْتَ بي عالمًا، أو كُنتَ على ما في يَدي قادرًا؟! وقال للمُذنِبِ: اذهَبْ فادخُلِ الجنَّةَ برَحْمتي، وقال للآخَرِ: اذْهَبوا به إلى النَّارِ**».

وفي الحديثِ: النَّهيُ عنِ الكِبْرِ والعُجْبِ، وفيهِ: النَّهيُ عنِ احتِقارِ أحدٍ منَ المُسلمينَ والحثُّ على التَّواضـــعِ معهم، وفيه: التَّواضـــعُ والتَّأدُّبُ مع اللهِ سُـــبحانه في الأقوالِ والأحوالِ، وفيه: أنَّ حقَّ العبدِ أنْ يُعامِلَ نفْســـه بأحكامِ العُبوديَّةِ، وأنْ يُعامِلَ اللهَ مَولاه بما يَجِبُ له مِن أحكامِ الإلهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ، وفيه: النَّهيُ عن القولِ بأنَّ فُلانًا مِن أهلِ النَّارِ، وكذا مِن أهلِ الجنَّةِ، إلَّا لمَن أخبَرَ عنه النَّبيُّ ﷺ بذلكَ، كالعشَـــرةِ المبشَّرين بالجنَّةِ، وفيه: خَوفُ المؤمنِ مِن إحباطِ عَملِه بسُوءِ الأدبِ مع اللهِ، ومع عِبادِ اللهِ تعالَى.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

للسخرية والاستهزاء عواقب وخيمة، ونتائج سيئة في الدنيا والآخرة. فما أقبحها من خصلة، وما أخسها من صفة، فإياك أن تكون من المستهزئين الساخرين؛ فإن عاقبتهم هلاك في الدنيا، وخسران يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام، آية:10) وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾)الرعد، آية: 32).

خزي في الدنيا، وعذاب في الآخرة. هلاك ودمار في العاجلة، وعذاب مقيم في الآجلة، فذلك جزاء من عادى أولياء الله، واستهزأ بأحبابه وأصفيائه، **ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله:** ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا﴾: (يقولُ اللهُ تعالى: من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربةِ) ([30]) أي أعلمته بالهلاك والنكال.

---

[30]. الراوي: أبو هريرة، المحدث: ابن تيمية، المصدر: مجموع الفتاوى، الصفحة أو الرقم: 316/25، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه البخاري (6502) باختلاف يسير.

وفي رواية البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: (إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ) (أخرجه البخاري (6502) باختلاف يسير).

شرح الحديث.

حرَّمَ اللهُ إيذاءَ المُؤمِنِ بغيْرِ حقٍّ، وتوعَّدَ المُجترئَ على ذلك بالعِقابِ الأليمِ في الدُّنيا والآخِرةِ، ويَزدادُ التَّحريمُ شِدَّةً، ويَزدادُ الوعيدُ بالعقابِ خُطورةً؛ إذا كان الواقعُ عليه الإيذاءُ أحدَ الصَّالحينَ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN: (2786-0361) PRINT ISSN: (2786-0353)

وفي هذا الحديثِ القُدسيّ يُخبِرُ رَسولُ اللهِ ﷺ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قال: «**مَن عادى لي وَلِيًّا**»، أي: ألحق الأذى بوَلِيٍّ مِنَ أولياءِ اللهِ، والوَلِيُّ: هو المُؤمِنُ التَّقيُّ، العالِمُ باللهِ تعالَى، المواظِبُ على طاعتِه، المُخلِصُ في عِبادتِه. وهو أيضًا مَن يَتولَّى اللهُ سُبحانَه وتعالَى أمْرَه ولا يَكِلُه إلى نفْسِه لَحْظةً، بلْ يَتولَّى الحقُّ رِعايتَه، أو هو الذي يَتولَّى عِبادةَ اللهِ وطاعتَه، فعِباداتُه تَجْري على التَّوالي مِن غيْرِ أنْ يَتخلَّلَها عِصيانٌ.

فمن عادى وَلِيَّ اللهِ، فقدْ أعلَنَ اللهُ سُبحانَه الحربَ عليه، وهذا فيه الغايةُ القُصوى مِنَ التَّهديدِ؛ إذ مَن حارَبَه اللهُ وعامَلَه مُعاملةَ المحارِبِ، فهو هالكٌ لا مَحالةَ، ومَن يُطيقُ حرْبَ اللهِ؟!

ثم قال الحَقُّ سُبحانَه: «**وما تَقرَّبَ إليَّ عَبْدي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افترَضْتُه عليه**»، أي: أوجَبْتُه عليه؛ فالصَّلَواتُ الخَمسُ أحَبُّ إلى اللهِ مِن قيامِ اللَّيلِ، وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ النَّوافِلِ، وصِيامُ رَمَضانَ أحَبُّ إلى الله من صيامِ الاثنينِ والخميسِ، والأيَّامِ السِّتَّةِ مِن شَوَّالٍ، وما أشبَهَها؛ فالفَرائِضُ أحَبُّ إلى اللهِ وأوكَدُ.

«**وما يَزالُ عَبْدي يَتقرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ**» مع الفرائضِ، كالصَّلاةِ والصِّيامِ، وغيرِهما من أعمالِ البِرِّ والطَّاعةِ التي ليست من الفريضةِ؛ فالنَّوافِلُ تُقَرِّبُ إلى اللهِ، وهي تُكَمِّلُ الفرائِضَ، فإذا أكثَرَ الإنسانُ مِنَ النَّوافِلِ مع قيامِه بالفرائِضِ، نال محبَّةَ اللهِ، فيُحِبُّه اللهُ، وإذا أحَبَّه كان اللهُ سُبحانَه سَمْعَه الَّذي يَسمَعُ به، وبَصَرُه الذي يُبصِرُ به، ويَدَهُ التي يَبطِشُ بها، ورِجْلَه التي يَمْشي بها.

يعني أنَّه يكونُ مُسَدِّدًا له في هذه الأعضاءِ الأربعةِ؛ يُسَدِّدُه في سمعِه، فلا يَسمَعُ إلَّا ما يُرضِي اللهَ، ويُسَدِّدُه في بَصَرِه، فلا يَنظُرُ إلَّا إلى ما يحِبُّ اللهُ النَّظَرَ إليه، ولا ينظُرُ إلى المحَرَّمِ، ويُسَدِّدُه في يَدِه، فلا يعمَلُ بيَدِه إلَّا ما يُرضِي اللهَ؛ لأنَّ اللهَ يُسَدِّدُه، وكذلك رِجْلُه، فلا يمشي إلَّا إلى ما يُرضي اللهَ؛ لأنَّ اللهَ يُسَدِّدُه، فلا يسعى إلَّا إلى ما فيه الخيرُ.

وإن سأل اللهَ شيئًا فإنَّ اللهَ يعطيه ما سأل، فيكونُ مُجابَ الدَّعوةِ، ولئنِ استعاذ باللهِ ولجأ إليه طلَبًا للحمايةِ، فإنَّ اللهَ سُبحانَه يُعيذُه ويحميه ممَّا يَخافُ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

إياك أن تكون من المستهزئين الساخرين؛ فإن عاقبتهم حسرة وندامة، يوم لا تنفع الحسرة ولا الندامة، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر: 55، 56].

«وما تردَّدتُ عن شَيءٍ أنا فاعلُه تَردُّدي عن نفْسِ المُؤمِنِ» وليْسَ هذا التَّردُّدُ مِن أجْلِ الشَّكِّ في المصلحةِ، ولا مِن أجْلِ الشَّكِّ في القُدرةِ على فِعلِ الشَّيءِ، بلْ هو مِن أجْلِ رَحمةِ هذا العبدِ المُؤمِنِ، ولهذا قال اللهُ تعليلًا لهذا التردُّدِ: «يَكْرَهُ المَوْتَ» لِمَا فيه من الألمِ العظيمِ، «وأنا أكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»؛ لِمَا يَلْقَى المُؤمِنُ مِن الموتِ وصُعوبتِه.

فالعَبدُ الذي صـــار محبوبًا للحَقِّ مُحِبًّا له، يتقرَّبُ إليه أولًا بالفرائِضِ، وهو يحِبُّها، ثمَّ اجتهد في النَّوافِلِ التي يحِبُّها ويحِبُّ فاعِلَها، فأتى بكُلِّ ما يقدِرُ عليه من محبوبِ الحَقِّ، فأحبَّه الحَقُّ لفِعْلِ محبوبِه من الجانِبَينِ بقَصْـــدِ اتفاقِ الإرادةِ؛ بحيث يحِبُّ ما يحِبُّه، ويكرَهُ ما يكرَهُه محبوبُه، والرَّبُ يكرَهُ أن يَسُـــوءَ عَبْدَه ومحبوبَه، فلَزِمَ مِن هذا أن يَكرَهَ الموتَ؛ ليزدادَ مِن محابِّ محبوبِه.

واللهُ سُـبحانَه وتعالى قد قضـــى بالموتِ، فكُلُّ ما قضـــى به فهو يريدُه، ولا بُدَّ منه؛ فالرَّبُّ مُريدٌ لِمَوتِه لِما سبق به قضاؤُه، وهو مع ذلك كارهٌ لمساءةِ عَبدِه، وهي المَساءةُ التي تحصُلُ له بالموتِ؛ فصار الموتُ مُرادًا للحَقِّ مِن وَجهٍ، مَكروهًا له من وجهٍ، وهذا حقيقةُ التردُّدِ.

وفي الحَديثِ: النَّهيُ عن إيذاءِ أولياءِ اللهِ. **وفيه:** التَّرغيبُ في حُبِّ أولياءِ الرَّحمنِ، والاعترافِ بفَضْـــلِهم. **وفيه:** أنَّ أحَبَّ الأعمالِ فِعلُ الفرائضِ، وأفضـــلُ القُرُبات بَعْدَها فِعلُ النَّوافلِ. **وفيه:** دلالةٌ على شَرَفِ الأولياءِ ورِفعةِ مَنزِلَتِهم.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

إياك أن تكون من المستهزئين الساخرين؛ فإن عاقبتهم عذاب مقيم في جهنم وبيس المصير، قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون:111].

هؤلاء الذين كنتم تحتقرونهم وتشمئزون منهم وتسخرون منهم هم الفائزون، أما أنتم أيها المستهزئون فأنتم الخاسرون الهالكون، يعجبون يوم القيامة حين لا يرون من كانوا يسخرون منهم في الدنيا معهم في النار، وقد كانوا يظنون أنهم على ضلال؛ ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [ص:62-63]. أي أولئك الذين كنا نظنهم ونعدّهم أشراراً، ونعدّهم فجاراً، ونعدّهم ضُلالاً، أين هم الآن؟ لماذا ليسوا معنا في النار؟ هل كنا نسخر منهم ونحتقر أمرهم بينما هم على الحق وعلى الطريق المستقيم؟ أم أنهم معنا الآن لكن أبصارنا قد زاغت عنهم فلم نتمكن من رؤيتهم؟.

بل إن الله تعالى يعاقب المستهزئين الذين يستهزئون بالمؤمنين في الدنيا؛ يعاقبهم بأن يُذِلهم ويُخزيهم، ويُمَكّنَ لعباده المؤمنين من الضحك عليهم يوم القيامة. فالجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: 29، 36].

ثانيًا: أسبابُ التنمُّرِ والسخريةِ.

لقد حذَّرَ اللهُ جلَّ وعلا مِن التنمُّرِ والاستهزاءِ والسخريةِ بالضعفاءِ والمساكينِ والاحتقارِ لهُم والإزراءِ عليهِم والاشتغالِ بهِم فيمَا لا يعنِي، وذلك كلُّهُ مبعدٌ عن اللهِ مقربٌ مِن الشيطانِ وحزبِهِ، قالَ جلَّ وعلا: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ (المؤمنون، آية: 110)، وصدقَ الحبيبُ ﷺ إذْ يقولُ، **كما روى البخاري ومسلم، عن عبدالله بن عمرو- رضي الله عنه-، قال:** (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) ([31]).

---

[31] . أخرجه البخاري (10)، ومسلم (40) مختصراً.

شرح الحديث.

هذا الحديثُ مِن جَوامعِ كَلِمِه ﷺ، وفيه يُرشِدُنا النبيُّ ﷺ إلى التَّحَلِّي بالآدابِ والأخْلاقِ الإسلاميَّةِ، الَّتي تَزيدُ الأُلفةَ والمودَّةَ بيْن المُسلِمينَ. ومعْناه: أنَّ المسلِمَ الكامِلَ الجامعَ لخِصالِ الإسلامِ: هو مَن لم يُؤْذِ مُسلِمًا بقَولٍ ولا فِعلٍ، وخصَّ اللِّسانَ واليدَ؛ لكَثرةِ أخطائِهما وأضرارِهما؛ فإنَّ مُعظَمَ الشُّرورِ تَصدُرُ عنهما؛ فاللِّسانُ يَكذِبُ، ويَغتابُ، ويسُبُّ، ويَشهَدُ بالزُّورِ، واليدُ تَضرِبُ، وتَقتُلُ، وتَسرِقُ، إلى غيرِ ذلك، وقدَّم اللِّسانَ؛ لأنَّ الإيذاءَ به أكثرُ وأسهلُ، وأشدُّ نِكايةً، ويعُمُّ الأحياءَ والأمواتَ جميعًا.

وبيَّن أنَّ المُهاجرَ الكاملَ هو مَن هجَرَ ما نهى اللهُ عنه؛ فالمُهاجرُ الممدوحُ هو الَّذي جمَعَ إلى هِجرانِ وَطَنِه وعَشيرتِه هِجرانَ ما حرَّم اللهُ- تعالَى عليه-؛ فمُجرَّدُ هِجرةِ بلَدِ الشِّركِ مع الإصرارِ على المعاصي ليست بهِجرةٍ تامَّةٍ كاملةٍ؛ فالمُهاجرُ بحقٍّ هو الَّذي لم يَقِفْ عند الهجرةِ الظَّاهرةِ، مِن تَرْكِ دارِ الحربِ إلى دار الأمنِ، بل هُو مَن هجَرَ كلَّ ما نَهَى اللهُ عنه. **وفي الحديثِ:** الحثُّ على تَركِ أذَى

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

وللتنمُّرِ والسـخريةِ أسـبابٌ كثيرةٌ وعديدةٌ لا يتسـعُ الوقتُ لذكرِهَا، منها على سـبيلِ المثالِ لا الحصر: (ضـعفُ الإيمانِ، وقلةُ الوازعِ الدينِي وسـوءُ التربيةِ، وعدمُ الثقةِ في اللهِ الواحدِ الديانِ)، وتم عرضها كما يلي:

1. ومِن أسبابِ التنمُّرِ والسخريةِ: عدمُ حفظُ اللسانِ وإطلاقُ العنانِ للسانِهِ للخوضِ في أعراضِ الناسِ، والاستهانةُ بخطرِ الكلمةِ: لذا فإنَّ المرءَ يُقاسُ بلسانِهِ.

كما قال عمرُ بنُ الخطابِ– رضي اللهُ عنهُ–: (الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ: قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ)، لم يقلْ بمالِهِ ولا سلطانِهِ، ولا عملِهِ ولا بجسدِهِ، فهو سبحانَهُ لا ينظرُ إلى هذا كلِّهِ([32]).

فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ– رضـي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُـوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)([33]) فلا تغرنَّكَ الأجسـادَ القويةَ ولا الأشـكالَ الحسـنةَ، فربّمَا يأتي يومَ القيامةِ، ولا يزنُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ.

المسـلمين بكلِّ ما يُؤذِي. **وفيه:** أنَّ الظَّواهرَ لا يَعبَأُ اللهُ تعالَى بها إذا لم تُؤيِّدْها الأعمالُ الدَّالَّةُ على صِدقِها.

[32]. محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، السفاريني، مطلب في ذكر طرف من آفات اللسان، جزء(1) ص: 47.

[33].الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: 1862، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

شرح الحديث.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

كمَا بيّنَ النبيُّ ﷺ: (**يُؤتَى يوم القيامة بالرجل السَّمِين، فلا يَزِن عند الله جَنَاح بَعُوضَة**) ثُمّ قرأَ: ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ (الكهف، آية:105)([34]).

علَّمَنا النبيُّ ﷺ أنَّ الناسَ لا تَتفاضَلُ بحُسْنِ المظاهِرِ أو كَثرةِ الأموالِ، وإنما تتفاضلُ بطَهارةِ القلوبِ، والخَشيةِ من اللهِ، والسَّعيِ في الأعمالِ الصالحةِ، كما في هذا الحَديثِ، حيثُ يقولُ النبيُّ ﷺ: "**إنَّ اللهَ تعالى لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكم، وأموالِكم**"، أي: إنَّ اللهَ- سبحانه وتعالى- لا يَنظُرُ إلى أجسامِ العبادِ؛ هلْ هي كَبيرةٌ أو صَغيرةٌ، أو صَحيحةٌ أو سَقيمةٌ، ولا يَنظُرُ إلى الصُّوَرِ؛ هل هي جميلةٌ أو ذَميمةٌ؛ ولا يَنظُرُ إلى الأموالِ كثيرةٍ أو قليلةٍ؛ فلا يُؤاخِذُ اللهُ- عزَّ وجلَّ- عبادَه، ولا يُحاسبُهم على هذه الأمورِ وتَفاوُتِهم فيها، "**ولكنْ يَنظُرُ إلى قُلوبِكم**"، أي: إلى ما فيها من التَّقْوى واليقينِ، والصدقِ والإخلاصِ.

وقصدِ الرياءِ والسُّمعةِ، وسائرِ الأخلاقِ الحَسنةِ والقبيحةِ، "**وأعمالِكم**"، أي: وينظُرُ إلى أعمالِكم من حيثُ صلاحُها وفسادُها؛ فيثيبُ ويُجازي عليها؛ فلَيسَ بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ خلْقِه صِلةٌ إلَّا بالتَّقْوى؛ فمَنْ كان للهِ أتْقَى كان من اللهِ أقربَ، وكان عندَ اللهِ أكرمَ؛ إذَنْ فعلى المَرْءِ ألَّا يَفخرَ بمالِه ولا بجَمالِه ولا بِبدنِه ولا بأولادِه ولا بقُصورِه، ولا بشيءٍ من هذه الدُّنْيا أبدًا، إنَّما إذا وفَّقه اللهُ لِلتَّقوى؛ فهذا من فَضلِ اللهِ عليه؛ فَلْيحمدِ اللهَ عليه، وإنْ خُذِلَ فلا يَلومَنَّ إلَّا نفْسَه.

وفي الحديثِ: الحثُّ على الاعتمادِ على النيةِ وحُسنِ القصدِ، والتَّحذيرُ من الركونِ إلى الظاهرِ دُونَ إصلاحِ الباطِنِ.

وفي الحديث: بيانُ أثرِ القَلبِ في صَلاحِ الجَوارحِ وفَسادِها.

[34] . الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر : صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم : 2785، خلاصة حكم المحدث:[صحيح].

شرح الحديث.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

لذا قالﷺ كما البخاري ومُسلمٍ مِن حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)([35]).

إنَّ اللهَ تعالَى لا يَنظُرُ إلى أجسامِ النَّاسِ وصُوَرِهم، وإنَّما يَنظُرُ إلى التَّقوى الَّتي في القُلوبِ، وقد ذمَّ اللهُ تعالَى المنافقِينَ أصحابَ الأجسامِ القويَّةِ المعْتدلةِ، ولكنَّهم كالأخشابِ المسنَّدَةِ إلى الحائطِ لا يَسْمعونَ ولا يَعقِلونَ؛ فهم أشباحٌ بلا أرواحٍ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: 4].

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ عَن مَشهدٍ مِن مَشاهدِ يومِ القيامةِ، حيثُ يؤْتَى برَجُلٍ عَظيمٍ سَمينٍ، ولكنَّه لا يَزِنُ عندَ اللهِ جَناحَ بَعوضةٍ؛ لخلُوِّ قلْبِه مِنَ الإيمانِ الَّذي هو مَحلُّ الوزنِ يومَ القيامةِ، وبه تَثقُلُ الموازينُ، وكَم مِن عَظيمِ الجُثَّةِ لا وقْعَ له! لأنَّ الوقْعَ إنَّما يكون بِالمعاني لا بالصُّورِ، والبَعوضةُ: حَشَرةٌ صغيرةٌ مِثلُ البَقِّ والناموسِ، وجناحُها من أخَفِّ الأعضاءِ فيها.

ثُمَّ ذكَرَ أبو هُرَيْرَةَ- رضِي اللهُ عنه- تَصديقًا لِقولِ النَّبيِّ ﷺ قولَه تعالَى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: 105]، أي: لا نَجعَلُ لهم مِقدارًا، أو لا نضَعُ لهم مِيزانًا تُوزَنُ به أعمالُهم؛ لأنَّ الميزانَ إنَّما يُنصَبُ لِلَّذينَ خَلَطوا عملًا صالِحًا وآخَرَ سيِّئًا، أو لا نُقيمُ لأعمالِهم وزْنًا لحَقارتِها.وفي الحَديثِ: أنَّ ذا القَدْرِ والجاهِ في الدُّنْيا إذا لم يكنْ ذا تقْوى، فليس له قَدْرٌ عندَ اللهِ تعالَى. **وفيه:** بيانُ أنَّ أسبابَ التفاضُلِ تكونُ بالأعمالِ الصَّالحةِ المقبولةِ عند اللهِ.

[35] . أخرجه مسلم (2988) مختصراً بنحوه.

اللِّسانُ مِن نِعَمِ اللهِ العَظيمةِ، ولَطائفِ صُنعِه البَديعةِ؛ فإنَّه مع صِغَرِ جِرْمِه قدْ يكونُ سَببًا في دُخولِ الجنَّةِ، أو انْكِبابِ صاحِبِه على وَجْهِه في النَّارِ؛ لذا يَنْبغي للمُسلِمِ أنْ يَحفَظَ لِسانَه. وفي هذا

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَهْ حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضـــي اله عنه- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ**)[36]، فكان علقمة يقول كم من كلامٍ قد منعنيه حديث بلال بن الحارث!

لذَا لمَّا سئَلَ معاذُ بنُ جبلٍ- رضي اللهُ عنه-، أستاذَ البشريةِ ﷺ قائلًا لهُ: حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضـــي اله عنه- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**إِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ، فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِم؟**)[37].

الحَديثِ بَيَّن النَّبيُّ ﷺ أثَرَ الكلمةِ وما يَترتَّبُ عليها مِن أجْرٍ أو وِزرٍ، حتَّى إنَّ العبدَ لَيتكلَّمُ بالكَلمةِ مِمَّا يَرْضاهُ اللهُ ويُحِبُّه، لا يَلتفِتُ لها قلْبُه وبالُه؛ لِقِلَّةِ شَأنِها عندَه، فيَرْفَعُه اللهُ بها دَرَجاتٍ في الجنَّة.

وإنَّه لَيتكلَّمُ بالكَلمةِ الواحدةِ مِمَّا يَكْرَهُه اللهُ ولا يَرْضـــاهُ، لا يَلتفِتُ بالُه وقلْبُه لعِظَمِها، ولا يَتفكَّرُ في عاقِبَتِها، ولا يَظُنُّ أنَّها تُؤثِّرُ شَـــيئًا، ولكِنَّها عندَ اللهِ عَظيمةٌ في قُبحِها، فيَهْوِي بها -أي: يَنزِل ويَســـقُط بسَببِها- في دَرَكاتِ جَهَنَّمَ.

وهذا تَحذيرٌ للمُســـلِمِ مِن خُطورةِ الكَلِمةِ؛ فإنَّ الكَلِمةَ إذا لم تَخرُجْ مِن الفَمِ فالإنســـانُ مالِكُها، فإذا خرَجَت كان أسِـيرَها.**وفي الحَديثِ:** أنَّ مَوضـوعَ الكلامِ هو مَا يُحدِّد أثَرَه المترتِّب عليه؛ فقدْ يَخرُجُ المُسـلِمُ مِن إسلامِه بسَببِ كَلِمةٍ، وقدْ يَنصُرُ اللهُ الإسلامَ بكَلمةٍ. وفيه: التأمُّلُ والتفكُّرُ فيما يَنطِقُ به الإنسانُ.

[36]. أخرجه الترمذي (2314)، وأحمد (7215) واللفظ لهما بزيادة في آخره، وأخرجه ابن ماجه (3970) باختلاف يسير. وأصله في صحيح البخاري (6477)، ومسلم (2988).

[37]. الراوي: معاذ بن جبل، المحدث: الألباني، المصـدر: هداية الرواة، الصـفحة أو الرقم: 28، خلاصـة حكم المحدث: حسن، **في رواية:** (**كنتُ معَ النَّبيِّ ﷺ في سفَرٍ، فأصبَحتُ يومًا قريبًا منهُ ونحنُ نَسيرُ،**

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ أخبرني بعملٍ يُدخِلُني الجنَّةَ ويباعِدُني من النَّارِ، قالَ: لقد سألتَني عَن عظيمٍ، وإنَّهُ ليسيرٌ على من يسَّرَهُ اللَّهُ علَيهِ، تعبدُ اللَّهَ ولا تشرِكْ بِهِ شيئًا، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتي الزَّكاةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجُّ البيتَ، ثمَّ قالَ: ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ: الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدَقةُ تُطفي الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النَّارَ ، وصلاةُ الرَّجلِ من جوفِ اللَّيلِ.

قالَ: ثمَّ تلا تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ، حتَّى بلغَ يَعْمَلُونَ، ثمَّ قالَ: ألا أخبرُكَ بِرَأسِ الأَمرِ كلِّهِ وعمودِهِ، وذِروةِ سَنامِهِ؟ قلتُ: بلى يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُهُ الصَّلاةُ، وذروةُ سَنامِهِ الجِهادُ ، ثمَّ قالَ: ألا أخبرُكَ بملاكِ ذلِكَ كلِّهِ؟ قُلتُ: بلَى يا رسولَ اللَّهِ، قال: فأخذَ بلِسانِهِ قالَ: كُفَّ عليكَ هذا، فقُلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ، وإنَّا لمؤاخَذونَ بما نتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: ثَكِلَتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخِرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم) الراوي: معاذ بن جبل، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: 2616، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

جعَل اللهُ عزَّ وجلَّ عمَلَ الطَّاعاتِ واجتِنابَ المعاصي سببًا لدُخولِ الجنَّةِ والبُعدِ عن النَّارِ، وفي هذا الحديثِ يَقولُ مُعاذُ بنُ جبلٍ رضِيَ اللهُ عَنه: "كنتُ مع النَّبيِّ ﷺ في سفَرٍ"، **وفي رِوايةٍ:** ذكَر أنَّ ذلك كان في غَزوةِ تَبوكَ، قال: "فأصبَحتُ يومًا قريبًا منه"، أي: مِن النَّبيِّ ﷺ، "ونَحنُ نَسيرُ"، أي: في تِلك الغزوةِ.

وفي الرِّوايةِ الأخرى: "وقد أصابَنا الحَرُّ، فتَفرَّق القومُ، فإذا رسولُ اللهِ ﷺ أقرَبُهم منِّي، فدَنَوتُ منه"، فقلتُ: "يا رسولَ اللهِ، أَخبِرْني بعَملٍ"، أي: إذا عَمِلتُه، "يُدخِلُني الجنَّةَ ويُباعِدُني مِن النَّارِ"، أي: يَكونُ سَببًا لِدُخولي الجنَّةَ، ونَجاتي مِن النَّارِ، فقال النَّبيُّ ﷺ: "لقَد سألتَني عن عَظيمٍ"، أي: عَظيمٍ فِعلُه على النُّفوسِ، أو سألتَني عن شَيءٍ عَظيمٍ؛ لأنَّ دُخولَ الجنَّةِ والبُعدَ عَنِ النَّارِ يتَطلَّبُ فِعلَ كلِّ عمَلٍ مأمورٍ بفِعْلِه واجتِنابَ كلِّ عمَلٍ مَنهيٍّ عن فِعلِه، "وإنَّه لَيَسيرٌ على مَن يسَّره اللهُ عليه"، أي: ومع عِظَمِ هذا العمَلِ إلَّا أنَّه سَهلٌ وهيِّنٌ على مَن أعانه اللهُ عليه.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

ثمَّ بيَّن له النَّبيُّ ﷺ هذا العملَ، فقال ﷺ: "تَعبُدُ اللهَ ولا تُشـرِكُ به شَـيئًا"، وهو التَّوحيدُ للهِ عزَّ وجلَّ ونفْيُ الشَّريكِ، "وتُقيمُ الصَّلاةَ"، أي: تُقيمُها في أوقاتِها تامَّةَ الأركانِ والوَاجباتِ، والمرادُ بها: صَلاةُ الفَريضةِ، وهي خَمسُ صَلواتٍ في اليومِ واللَّيلةِ، "وتُؤتي الزَّكاةَ"، أي: تُخرِجُ الزكاةَ مِن مالك بشُروطِها إنْ كُنتَ غنيًّا وتَملِكُ النِّصابَ.

"وتَصومُ رمَضانَ"، أي: تصومُ الشَّهرَ المفروض صيامُه على المستطيعِ القادِرِ بشُروطِه، "وتَحُجُّ البيتَ"، أي: تَقصِدُ البَيتَ الحرامَ والكعبةَ وتؤدِّي مَناسِكَ الحجِّ بأركانِها وبشُروطِها وأحكامِها، ويُشترَطُ فيه الاسـتِطاعةُ البَدنيَّةُ والماليَّةُ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْـتَطَاعَ إِلَيْهِ سَـبِيلًا﴾ [آل عمران: 97]، وكما ثبَت عن النبيِّ ﷺ في أحاديث أخرى.

ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذٍ: "ألَا أدُلُّك"، أي: أُرشِدُك، "على أبوابِ الخيرِ"، أي: طُرُقِ الخَيرِ ومَفاتيحِه الموصـــلةِ له، والمرادُ بالخيرِ: هو النَّجاحُ في الدُّنيا والنَّعيمُ في الآخِرةِ؛ فالبابُ الأوَّلُ مِن أبوابِ الخيرِ: "الصَّومُ جُنَّةٌ"، أي: سِترٌ وحِفظٌ لصاحبِه مِن الشَّهواتِ في الدُّنيا، ومِن النَّارِ في الآخِرةِ.

والمرادُ به هنا: صيامُ التَّطوُّعِ؛ لأنَّه ذكَر صومَ رمَضانَ قبل ذلك في الأعمالِ الَّتي تُوجِبُ دُخولَ الجنَّةِ والمباعَدةَ عن النَّارِ، والبابُ الثَّاني: "والصَّدقةُ تُطفِئُ الخطيئةَ"، أي: تَذهَبُ بها وتَمحو أثَرَها المترتِّبَ عليها، "كما يُطفِئُ الماءُ النَّارَ"، والمرادُ بها أيضًا هنا صَدقةُ التطوُّعِ؛ لأنَّ زكاةَ الفَرْضِ سبَقَ ذِكرُها.

فقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ في أوَّلِ الحديثِ أركانَ الإســلامِ، ثمَّ عاد إلى مَعانٍ مُســتَقاةٍ مِنها مرَّةً أخرى، ولكن بوجهٍ بيَّن فيه النَّوافِلَ الَّتي هي مِن أبوابِ الخيرِ الواســعةِ، فبيَّن ما يُدْخِلُ المرءَ الجنَّةَ مِن الأمورِ والأفعالِ الَّتي هي مِن جنْسِ أركانِ الإسلامِ، ثمَّ بيَّن ما هو مِن ثِمارِها ويَظهَرُ فيه آثارُها، ففي أوَّلِ الحديثِ وضَع أُصولَ وقَواعِدَ ما يُقرِّبُ إلى اللهِ ويُدخِلُ الجنَّةَ مِن الفَرائضِ وسَمَّاه زَكاةً، وهنا عِندَ أبوابِ الخيرِ ذكَر الصَّدَقةَ؛ لِيُؤكِّدَ أنَّها مِن النَّوافِلِ وليسَتْ مِن الفرائضِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

والبابُ الثَّالثُ: "وصـــلاةُ الرَّجُلِ مِن جَوفِ اللَّيلِ"، أي: قِيامُ اللَّيلَ، وهو عامٌّ للرَّجلِ والمرأةِ، ولكن ذَكَر الرجُلَ فقطْ تَغليبًا، قال مُعاذٌ: "ثمَّ تَلا"، أي: النَّبيُّ ﷺ قولَه تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السـجدة: 16- 17]، أي: يُبيِّن له النَّبيُّ ﷺ ذِكْرَ اللهِ تعالى لِمَن يَقومُ اللَّيلَ في القرآنِ، وما أَعَدَّ لهم مِن أجرٍ، وما تقَرُّ به أعينُهم يومَ القيامةِ وفي الجنَّةِ مِن نعيمٍ.

ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ: "ألَا أُخبِرُكَ برأسِ الأمرِ كُلِّه"، أي: رأسِ الدِّينِ، "وعَمودِه"، أي: أَصلِ الدِّينِ وما يَقومُ ويَعتَمِدُ عليه، "وذِرْوَةِ سَنامِه؟"، والسَّنامُ: ما ارتَفَع مِن ظَهرِ الجمَلِ، والمرادُ: أعْلى ما فيه وأرفَعُه؟ قال معاذٌ رضِيَ اللهُ عَنه: "بلى، يا رسولَ اللهِ"، قال النَّبيُّ ﷺ: "رأسُ الأمرِ: الإسلامُ"، أي: الشَّهادَتانِ، وبِهما يُصبِحُ للإنسانِ أصلٌ في الدِّينِ.

وفي ذلك إشـارةٌ إلى أنَّ الإسـلامَ مِن سـائرِ الأعمالِ بمَنزِلةِ الرَّأسِ مِن الجسَـدِ في احتِياجِه إليه وعدَمِ بَقائِه دونَه، "وعَمودُه: الصَّـــلاةُ"، أي: وبالمُحافَظةِ على الصَّـــلاةِ يَقْوى دِينُه ويَشـــتَدُّ، وتَظهَرُ آثارُ الالْتِزامِ بالدِّينِ عليه، ولأنَّ الصَّـلاةَ هي الرُّكنُ الدَّائمُ الَّذي يؤدَّى بصـورةٍ يوميَّةٍ خمسَ مرَّاتٍ ولا عُذرَ لأحَدٍ في التَّخلِّي عنها وتَرْكِها.

أمَّا بقيَّةُ أركانِ الإسـلامِ فلا تُؤدَّى إلاَّ بشُـروطٍ إذا توَفَّرَت في المسـلِمِ فإنَّه يُؤدِّيها وربَّما لا تتَحقَّقُ هذا الشُّـروطُ عندَ كثيرٍ مِن المسـلِمين، فلا يؤدِّي هذه الأركانَ؛ فلم يبقَ له إلَّا الصَّـلاةُ، فصـارت كالعَمودِ لحَمْلِ الإسلامِ وإظهارِه عندَ كلِّ مسلِمٍ، "وذِرْوَةُ سَنامِه: الجهادُ"، أي: فإذا جاهَد كانت الرِّفْعةُ له ولدِينِ.

فمَن لم يُقِرَّ بكَلِمَتي الشَّهادةِ لم يَكُنْ له مِن الدِّينِ شيءٌ أصلًا، وإذا أقَرَّ بكَلِمَتَي الشَّهادةِ حصَل له أصـلُ الدِّينِ، إلَّا أنَّه ليس له قوَّةٌ، كالبيتِ الذي ليس له عَمودٌ؛ فإذا صـلَّى وداوَمَ على الصَّـلاةِ قَوِيَ دينُه، ولكن لم يَكُنْ له رِفعةٌ وكَمالٌ، فإذا جاهَد حصَل لدينِه الرِّفعةُ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

فاللسانُ هو السببُ الرئيسيُّ في كبِّ الناسِ في النارِ ولا حولَ ولا قوةَ إلّا باللهِ، لذا كانت حقيقةُ المسلمِ تظهرُ أولَ ما تظهرُ في لسانِهِ، **كما في البخاري ومسلمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رَضِيَ اللَّهُ**

ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذٍ: "**ألا أُخبِرُك بمِلاكِ ذلك كلِّه؟**"، أي: ما يَكمُلُ به ويَتِمُّ، قال مُعاذٌ: "**بلى، يا رسولَ اللهِ**"، قال النَّبيُّ ﷺ: "**فأخَذ بلِسانِه**"، أي: أمسَك النَّبيُّ ﷺ بلِسانِ نَفْسِه، ثمَّ قال: "**كُفَّ عليك هذا**"، أي: اترُكِ الكلامَ المحرَّمَ كالكلام الذي فيه شِركٌ باللهِ تعالى، والكَذِبِ، وشَهادةِ الزُّورِ.

والقولِ على اللهِ بغيرِ عِلمٍ، والخوضِ في أعراضِ النَّاسِ، وغيرِ ذلك مِن الموبِقاتِ كالغِيبةِ والنميمةِ والفُحشِ مِن القولِ ونحو ذلِك، واترُكِ الكلامَ فيما لا يُفيدُ وفيما لا مَعنى له؛ فإذا تَكلَّمتَ فلا تَتكلَّمُ إلَّا بخيرٍ؛ كالأمْرِ بالصَّدقةِ والمعروفِ أو الإصلاحِ بينَ الناسِ ونحو ذلك؛ فإنْ لم يكُنْ في الكلامِ خيرٌ ففي الصَّمتِ السَّلامةِ.

وفي الصَّحيحينِ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "**ومَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليقلْ خيرًا أو ليَصْمُتْ**"، قال معاذٌ: "**يا نبيَّ اللهِ، وإنَّا لَمُؤاخَذون بما نتَكلَّمُ به؟**"، أي: مُحاسَبون ومُعاقَبون على الكلامِ، فقال النَّبيُّ ﷺ: "**ثَكِلَتك أمُّك يا مُعاذُ!**"، أي: فقَدَتْك، وليس المرادُ به الدُّعاءَ عليه، ولكنَّها مِن كلامِ العرَبِ، واستعمالُه ﷺ لها لِتَنبيهِه إلى أمرٍ كان يَنبَغي أن يَنتَبِهَ له ويَعرِفَه، "**وهل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجوهِهم- أو على مَناخِرِهم-**"، أي: هل هناك شيءٌ يَجعَلُهم يُصرَعون على وُجوهِهم ويَسقُطون، والمِنخَرُ: ثَقْبُ الأنفِ وفَتحتُه، "**إلَّا حَصائدُ ألسِنَتِهم؟**"، أي: إلَّا بسبَبِ ما يَحصُدونه يومَ القيامةِ مِن كَثرةِ الكلامِ في الدُّنيا في غيرِ طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وفي الحديثِ: إشارةٌ إلى أنَّ القيامَ بأركانِ الإسلامِ الخمسةِ دونَ الإتيانِ بما يُناقِضُها- يَكونُ سببًا في دُخولِ الإنسانِ الجنَّةَ ومُباعَدتِه مِن النَّارِ بفضلِ اللهِ تعالى. **وفيه:** حِرصُ النَّبيِّ ﷺ على تزوُّدِ أمَّتِه مِن أبوابِ الخيرِ؛ حتَّى تَزدادَ درَجاتُهم في الجنَّةِ. **وفيه:** فضلُ الصِّيامِ والصَّدقةِ والجِهادِ في سَبيلِ اللهِ تعالى. **وفيه:** أنَّ اللِّسانَ أصلٌ لكلِّ ما يُدخِلُ الإنسانَ النَّارَ؛ ففيه تحذيرٌ شديدٌ من آفاتِ اللِّسانِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

عَنْهُمَا- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ**)([38]).

[38] . أخرجه البخاري (10)، ومسلم (40) مختصراً.

شرح الحديث.

هذا الحديثُ مِن جَوامعِ كَلِمِه ﷺ ، وفيه يُرشِـــدُنا النبيُّ ﷺ إلى التَّحَلِّي بالآدابِ والأخْلاقِ الإسلاميَّةِ، الَّتي تَزيدُ الأُلفةَ والمودَّةَ بيْن المُسلِمينَ. ومعْناه: أنَّ المسلِمَ الكامِلَ الجامعَ لخِصالِ الإسلامِ: هو مَن لم يُؤْذِ مُسـلِمًا بقَولٍ ولا فِعلٍ، وخصَّ اللِّسـانَ واليدَ؛ لكَثرةِ أخطائِهما وأضـرارِهما؛ فإنَّ مُعظَمَ الشُّـرورِ تَصدُرُ عنهما؛ فاللِّسانُ يَكذِبُ، ويَغتابُ، ويسُبُّ، ويَشهَدُ بالزُّورِ، واليدُ تَضرِبُ، وتَقتُلُ، وتَسرِقُ، إلى غيرِ ذلك، وقدَّم اللِّسانَ؛ لأنَّ الإيذاءَ به أكثرُ وأسهلُ، وأشدُّ نِكايةً، ويعُمُّ الأحياءَ والأمواتَ جميعًا.

وبيَّن أنَّ المُهاجرَ الكاملَ هو مَن هجَرَ ما نهى اللهُ عنه؛ فالمُهاجرُ الممدوحُ هو الَّذي جمَعَ إلى هِجرانِ وَطَنِه وعَشـــيرتِه هِجرانَ ما حرَّم اللهُ تعالَى عليه؛ فمُجرَّدُ هِجرةِ بلَدِ الشِّـــركِ مع الإصـــرارِ على المعاصي ليست بهِجرةٍ تامَّةٍ كاملةٍ.

فالمُهاجرُ بحقٍّ هو الَّذي لم يَقِفْ عند الهجرةِ الظَّاهرةِ، مِن تَرْكِ دارِ الحربِ إلى دار الأمنِ، بل هُو مَن هجَرَ كلَّ ما نَهَى اللهُ عنه. وفي الحديثِ: الحثُّ على تَركِ أذَى المسلِمين بكلِّ ما يُؤذِي. وفيه: أنَّ الظَّواهرَ لا يَعبَأُ اللهُ تعالَى بها إذا لم تُؤيِّدْها الأعمالُ الدَّالَّةُ على صِدقِها.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

بل إنَّ جميعَ الأعضاءِ يشعرونَ بخطورةِ اللسانِ فينادونَ عليهِ في كلِّ يومٍ ويطلبونَ منهُ أنْ يسيرَ على الحقِّ والإرشـادِ فيقولونَ لهُ: (**اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْـتَقَمْتَ اسْـتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**)[39]، ولله درُّ الشافعيِّ رحمَهُ اللهُ:

لِسَانُكَ لاَ تَذْكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ.
وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَعَايِباً فَدَعْهَا وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ.

2. **ومِن أسبابِ التنمُّرِ والسخريةِ: الغرورُ وإعجابُ المرءِ بنفسِهِ**: مِن أجلِ ذلك كان العجبُ داءً مهلكًا حقًّا، كما وصفَهُ النبيّ ﷺ ، **كما في الحديثِ الذي رواه عن عبدالله بن عمر- رضي اللهُ عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: هَوًى مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ؛ وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ)**[40].

---

[39] . **في رواية: (إذا أصبح ابنُ آدمَ؛ فإنَّ الأعضاءَ كلَّها تكفِّر اللسانَ، فتقول: اتقِ اللهَ فينا؛ فإنما نحن بك؛ فإن- استقمت استقمنا وإنِ- اعوججتَ اعوججنا)** خرجه الترمذي (2407) واللفظ له، وأحمد (11927).

[40] . رواه الطبراني، في المعجم الأوسط، عن عبدالله بن عمر، الصفحة أو الرقم:5754، صحيح.

شرح الحديث.

اللِّسـانُ يُترجِمُ عمَّا في القَلبِ ويُعبِّرُ عنه، ونُطْقُه له تَأثيرٌ في بقيَّةِ أعضـاءِ الجسَـدِ، وهذا التأثيرُ يكونُ بـالخيرِ إذا كـان الكلامُ ممَّا يُنتفعُ بـه؛ مِن ذِكرٍ للهِ، أو أمرٍ بمعروفٍ أو نهي عن مُنكَرٍ، ويكونُ التأثيرُ بالشَّرِّ إذا كان نطقُه فيه إثمٌ؛ مِن كَذِبٍ ونميمةٍ وغِيبةٍ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

وقالَ ابنُ مسعودٍ– رضي اللهُ عنه–: الهلاكُ في شيئينِ: العجبِ والقنوطِ، وقال الأحنفُ بنُ قيسٍ:

(عجبتُ لِمَن جرَى في مجرَى البولِ مرتينِ كيفَ يتكبرُ؟).

يا مظهرَ الكبرِ إعجابًا بصورتِهِ انظرْ خَلاك فإنَّ النتنَ تثريبُ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "**إذا أصبَح ابنُ آدَم**"، أي: بدَأ يَومَه واستعدَّ له، "**فإنَّ الأعضاءَ كلَّها**"، أي: أعضاءَ الجسَدِ؛ مِن عَينين وأُذنين، ويدَين وقدَمين، وغيرِ ذلك، "تكفِّرُ اللِّسانَ"، أي: يَخضَعون ويتَذلَّلون له، من التَّكفيرِ الذي هو انحناءُ الرَّأس وطَأْطَأتُه قريبًا من الركوعِ كما يَفعَلُ مَن يُريدُ تَعظيمَ صاحبِه.

وقيل: معنى "**تُكفِّر اللِّسانَ**"، أي: تُنـــزِّلُ الأعضاءُ اللسانَ مَنزِلةَ الكافرِ بالنِّعمِ، "**فتَقولُ**"، أي: للِّسانِ، "**اتَّقِ اللهَ فينا**"، أي: كُنْ على خوفٍ مِن اللهِ؛ "**فإنَّما نحن بك**"، أي: إنَّنا مَجْزِيُّون بالثَّوابِ أو العِقابِ بما تقولُه مِن كلامٍ.

وقيل: مُتابِعون لك في الخيرِ والشَّـرِّ، "**فإن استقمتَ**"، أي: كنتَ مستقيمًا؛ بقلَّةِ الكلامِ ونطَقتَ بالكلامِ الطَّيِّبِ، والابتعادِ عمَّا فيه إثمٌ؛ مِن غِيبةٍ ونميمةٍ وكذِبٍ، وانشـــغَلْتَ بذِكرِ اللهِ، "**اســـتقَمنا**"، أي: تَبِعناك في تلك الفضـــائلِ والأجْرِ، "**وإن اعوجَجْتَ**"، أي: كنتَ مائلًا مخالِفًا للطَّريقِ المســـتقيمِ والهُدى "**اعوجَجْنا**"، أي: مِلْنا معك.

وكنَّا بذلك مخالِفين لِما فيه الهُدى والصَّـــلاحُ؛ وذلك لأنَّ اللِّســـانَ تَرجُمانُ القلبِ، وهو المظهِرُ لمكنونِ النَّفسِ؛ مِن صـــلاحٍ أو فَســـادٍ، فبما يَنطِقُ اللِّســـانُ يُجازَى الإنســـانُ؛ وبهذا يُجمَعُ بين هذا الحَديثِ وبينَ قولِ النَّبيِّ ﷺ: "**إنَّ في الجسَدِ مُضغةً، إذا صلَحَتْ صلَح الجسَدُ كلُّه، وإذا فسَدَتْ فسَد الجسَدُ كلُّه؛ ألَا وهي القلبُ**"؛ فصَلاحُ القلبِ أو فَسادُه يَظهَرُ في مَنطوقِ اللِّسانِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

لو فكّرَ الناسُ فيمَا في بطونِهِم ما استشعرَ الكبرَ شبانٌ ولا شيبُ.

3. **ومِن أسبابِ التنمُّرِ والسخريةِ: سوءُ الأخلاقِ**: لذا نادَي النبيُّ ﷺ قائلًا كما **في حديثِ الذي** رواه أحمد وأبو داوود، عن أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلْ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ، يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**)([41]).

---

[41] . أخرجه الترمذي (2032) واللفظ له، وابن حبان (5763)، وأبو الشيخ في ((التوبيخ والتنبيه)) (93).

شرح الحديث.

الإسلامُ دِينُ الأخلاقِ الحسَنةِ، وقد أمرَ بحفظِ الأعْراضِ مِن أنْ تُنتَهكَ بالقولِ أو الفعلِ؛ لأنَّه ممَّا يورِثُ العَداوةَ والبَغضاءَ بينَ المسلِمينَ، وفي هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ ﷺ: "**يا معشرَ مَن آمَنَ بلِسانِه وَلم يَدخُلِ الإيمانُ قلبَه**" وهذا نِداءٌ للتَّحذيرِ؛ لأنَّ الإيمانَ يجبُ أن يكونَ بالجَوارِحِ بعدَما يَصدُقُ ويستَقِرُّ في القلبِ، فتكونُ الأفعالُ والأعمالُ والاستِجابةُ للأوامرِ والنَّواهي دليلًا على هذا التَّصديقِ.

"**لا تَغْتابوا المسلِمينَ**"، أي: لا تَذكُروهم في غَيبتِهم بما يَسوءُهم ويُحزِنُهم، "**ولا تتبِعوا عَوراتِهم**"، أي: ولا تتحرَّوْا تتبُّعَ سقَطاتِهم وزَلَّاتِهم، وكشْفَ ما يَسترُونَه عن النَّاسِ من القَبائحِ؛ "**فإنَّه مَن اتَّبع عَوراتِهم يتَّبِعِ اللهُ عورتَه، ومَن يتَّبِعِ اللهُ عوْرتَه يفضَحْه في بيتِه**"، أي: يكونُ الجزاءُ مِن جِنسِ العَملِ، فكمَا تتبَّعوا سَقطاتِ المسلمينَ وزلَّاتِهم واغْتابوهم لفَضحِهم، سَخَّرَ اللهُ تَعالى له مَن يتَّبعُ عورتَه فيفضَحُه حتى وهو في بيتِه.وفي الحديثِ: بيانُ أنَّ الإيمانَ يكونُ بالقولِ والعَملِ والجوارحِ، وأنَّ المغْتابَ لم يَستقِرَّ الإيمانُ في قلبِه.وفيهِ: النَّهيُ التَّحذيرُ من الغِيبةِ، والترهيبُ الشَّديدُ مِن تتبُّعِ عوراتِ المسلمينَ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

فالأخلاقُ السيئةُ: هي السمومُ القاتلةُ والمهلكاتُ الدامغةُ، والمخازِي الفاضحةُ، والرذائلُ الواضحةُ، والخبائثُ المبعدةُ عن جوارِ ربِّ العالمين، ولله درُّ القائلِ:-

وَإذا أُصيبَ القَومُ في أَخلاقِهِم	فَأَقِم عَلَيهِم مَأتَمًا وَعَويلا.

ثالثًا وأخيرًا: علاجُ التنمُّرِ والسخريةِ.

التنمُّرُ داءٌ، والحمدُ للهِ أنّه داءٌ لماذَا؟ لأنّ ما مِن داءٍ علي ظهرِ الأرضِ إلَّا ولهُ دواءٌ كما قال نبيُّنَا ﷺ ، **في الحديث الذي رواه أبو داوود وأحمد والنسائي، عن أسامة بن شريك- رضي الله عنه-**، قال: (**تَدَاوَوْا عباد الله فَإِنَّ اللَّهَ- عَزَّوَ جَلَّ- لَمْ يَضَعْ دَاءً، إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ، وهو الْهَرَمُ**)[42] أي الشيخوخة، إذًا ما علاجُ التنمُّرِ؟

---

[42] . أخرجه أبو داود (2015، 3855) مفرقاً، الترمذي (2038)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (7553)، وابن ماجه (3436) واللفظ له، وأحمد (18454) باختلاف يسير.

وفي رواية ابن ماجة: (**شَهدتُ الأعرابَ يسألونَ النَّبيَّ ﷺ أعلينا حرجٌ في كذا أعلَينا حرجٌ في كذا فقالَ لَهم عبادَ اللَّهِ وضعَ اللَّهُ الحرجَ إلَّا منِ اقترضَ من عرضِ أخيهِ شيئًا فذاكَ الَّذي حُرِجَ فقالوا يا رسولَ اللَّهِ هل علينا جناحٌ أن لا نتداوى قالَ تداوَوا عبادَ اللَّهِ فإنَّ اللَّهَ سبحانَهُ لم يضع داءً إلَّا وضعَ معَهُ شفاءً إلَّا الْهرمَ قالوا يا رسولَ اللَّهِ ما خيرُ ما أعطِيَ العبدُ قالَ خُلُقٌ حسنٌ**).

شرح الحديث.

التَّيسيرُ ورفْعُ الحرَجِ مَبدأٌ مِن مَبادئِ الإسلامِ، وقد ظهَرَ هذا جَليًّا في حياةِ النَّبيِّ ﷺ، وفي هذا الحديثِ يقولُ أُسامةُ بنُ شَريكٍ- رضِيَ اللهُ عنه-: "**شَهِدْتُ الأعرابَ**" وهم سُكَّانُ الصَّحراءِ، "**يَسألونَ النَّبيَّ ﷺ: أعلَيْنا حرَجٌ في كذا؟**" أي: أعلينا إثمٌ في كذا؟

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

مواجهةُ التنمُّرِ مســـؤوليةٌ دينيةٌ ووطنيةٌ ومجتمعيةٌ تقعُ على عاتقِ الجميعِ، كلٌّ في مكانِ عملِه وتخصصِهِ، كلٌّ في حدودِ قدراتِه وإمكانيتِه لنحفظَ على وطنِنا مصرَ الحبيبةِ الغاليةِ مِن التنمُّرِ والمتنمرينَ لتنهضَ مصرُنَا في جميع المجالاتِ وفي شتَّى نواحِي الحياةِ، **والعلاج كما يلي:-**

"فقال لهم النَّبيُّ ﷺ: "**عِبادَ اللهِ، وضَعَ اللهُ الحرَجَ**"، أي: الإثمَ عمَّا سألْتُموه مِن الأشياءِ، "**إلَّا مَن اقترَضَ مِن عِرْضِ أخيه شيئًا**"، والمعنى: وضَعَ اللهُ الحرَجَ عمَّن فعَلَ شيئًا ممَّا ذكَرْتُم إلَّا مَن اغتابَ أخاه، أو سَبَّه، أو آذاهُ في نفْسِه، وعبَّرَ عنه بالاقتراضِ؛ لأنَّه يُستَرَدُّ منه في الآخرةِ، "**فذاك الَّذي حرَجٌ**"، أي: فذلك الَّذي حَرامٌ، وهو ما يُوقِعُ في الإثمِ.

قالت الأعرابُ: "**يا رسولَ اللهِ، هل علينا جُناحٌ**"، أي: إثمٌ، "**أَلَّا نَتَداوى**؟"، أي: نترُكَ التَّداوي والتَّطبُّبَ، فقال النَّبيُّ ﷺ: "**تَداوَوا عِبادَ اللهِ**"، أي: اطْلُبوا العِلاجَ والتَّطبُّبَ وأخْذَ الدَّواءِ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ التَّداويَ لا يُنافي العُبوديَّةَ، ولا يدَعُ التَّوكُلَ على اللهِ عزَّ وجلَّ، والمعنى: تَداوَوا ولا تَعتَمِدوا في الشِّفاءِ على التَّداوي، بل كونوا عِبادَ اللهِ مُتوكِّلينَ عليه، ومُفوِّضينَ الأُمورَ إليه؛ "**فإنَّ اللهَ سُبحانَه لم يضَعْ داءً**"، أي: لم يَخلُقْ داءً ولا مَرضًا.

"**إلَّا وضَعَ معه شِفاءً، إلَّا الهرَمَ**"، أي: الكِبَرَ في السِّنِّ والشَّيخوخةِ، وجعَلَه داءً تَشبيهًا له؛ فإنَّ الموتَ يعقُبُه كالأدواءِ، أو لأنَّ الكِبَرَ هو مَنْبعُ الأدواءِ والأمراضِ، والهرَمُ والشَّيخوخةُ اضمحلالٌ طَبيعيٌّ وطَريقٌ إلى الفَناءِ، فلم يُوضَعْ له شِفاءٌ، والموتُ أجَلٌ مَكتوبٌ لا يَزيدُ ولا ينقُصُ، والتَّداوي يكونُ بما أحَلَّه اللهُ وليس بما حرَّمَه.

قالتِ الأعرابُ: "يا **رسولَ اللهِ، ما خيرُ ما أُعْطِيَ العبدُ**؟" أي: ما أفضَلُ ما يُعطيه اللهُ للعبدِ في الدُّنيا، فقال النَّبيُّ ﷺ: "**خُلُقٌ حسَنٌ**"؛ فحُسْنُ الخُلقِ دَليلٌ على حُسنِ الدِّينِ، ولأنَّه تَطبيقٌ عمَليٌّ لشَريعةِ اللهِ ورسولِه ﷺ، وفي الحديثِ: الزَّجرُ والتَّغليظُ في الخوضِ في أعراضِ النَّاسِ والنَّيلِ مِنها بالباطِلِ.وفيه: الحثُّ على التَّداوي بما أحَلَّه اللهُ، وأنَّ ذلك لا يُخرِجُ عن التَّوكُّلِ على اللهِ.وفيه: فَضلُ حُسنِ الخُلُقِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

1. **وعلاجُ التنمُّرِ أولًا؛ يبدأُ المرءُ بإصلاحِ نفسهِ وبإصلاحِ أولادِهِ وبيتِهِ:** فمتَى ما صُلحَ الفردُ صلحتْ الأسرةُ؟ وبالتالي صلحتْ المجتمعاتُ، وإذا فسدَ الفردُ فسدتْ الأسرةُ وفسدَ المجتمعُ..... ولله درُّ القائلِ:

ابدأْ بنفسِكَ فانهَهَا عن غَيِّها	فإذا انتهتْ عنه فأنت حكيمُ.
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ	عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ.

2. **ومِن علاجِ التنمُّرِ؛ أنْ تعِي أنَّ التنمُّرَ سببٌ للإفلاسِ يومَ القيامةِ: كما في صحيحِ مسلمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا، مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمتى يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ.**

وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)[43].

---

[43] . أخرجه مسلم (2581).

شرح الحديث.

مِن شَنائعِ الأمورِ الَّتي يَغفُلُ عنها كَثيرٌ مِن النَّاسِ أنَّهم ربَّما يُحسِنون العباداتِ، إلَّا أنَّهم يَقترِفون معها الذُّنوبَ، والَّتي منها ما يَتعلَّقُ بحُقوقِ العبادِ، وسَوفَ يُحاسَبُ كلُّ إنسانٍ يومَ القيامةِ على ما عَمِل مِن خَيرٍ أو شَرٍّ.وفي هذا الحديثِ سألَ النَّبيّ ﷺ أصحابَهُ رَضيَ اللهُ عنهم: «**أَتدْرونَ**»، أي: أتعلَمونَ «**ما المُفلِسُ**» وما حَقيقتُه؟

وهذا الاستفهامُ للتَّقريرِ وإخراجِ الجوابِ مِن المخاطَبِ؛ لِيَبني عليه الحُكمَ المرادَ، ولمَّا كان المقصودُ السُّؤالَ عن الوصفِ وليْس عن الذَّاتِ عبَّرَ بـ«ما» بدَلَ «**مَن**»، فأجابوا: الْمُفلِسُ فِيما بيْننا وفيما

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

3. **ومِن علاجِ التنمُّرِ؛ أنْ تجعلَ مَن يراكَ يدعُو لِمَن ربَّاكَ:** لا يدعُوا على مَن ربَّاكَ، فتجرَّ لأهلِكَ الويلاتِ والسيئاتِ، وأنتَ لا تدري.

4. **ومِن علاجِ التنمُّرِ؛ أنْ لا تشمتَ بأخيكَ، فيرحمهُ اللهُ- جلَّ وعلا-ويبتليكَ:** ولله درُّ القائلِ:

نَعرِفُه هو مَن لا يملكُ مالًا، ولا متاعًا، أي: مِمَّا يَحصُلُ به النَّقدُ وما يُتمتَّعُ به مِنَ حَوائجِ وأغراضِ الدُّنيا، مثلُ: الأقمشةِ والجواهرِ والْمَواشي والعبيدِ، وأمثالِ ذلك، والحاصلُ: أنَّهم أجابوا بما عندَهم مِنَ العِلمِ بِحسَبِ عُرْفِ أهْلِ الدُّنْيا، كما يدُلُّ عليه قولُهم: «فِينا».

فقال لهم النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ المُفلِسَ مِن أُمَّتِي»، أي: المفلسُ الحقيقيُّ، أوِ المُفْلِس في الآخرةِ، هو «مَن يأْتي يوْمَ القيامةِ بِصيامٍ وصَلاةٍ وزكاةٍ» مَقبولاتٍ قدْ أدَّاها كما أمَرَه اللهُ، وذِكرُ هذه العباداتِ ليْس للحصرِ، بلْ هو تَمثيلٌ يَشمَلُ جميعَ الطَّاعاتِ، ولكنَّه يَأْتي وقدْ شَتمَ هذا، أي: وَقعَ منه شَتْمٌ وسبٌّ لِأحدٍ، وقذَفَ هذا، وهو الاتِّهامُ بِالزِّنا ونحوِه، «وَأكَلَ مالَ هذا» بِالباطلِ، «وسفَكَ دمَ هذا» فأَراقَ دمَه بِغيرِ حقٍّ، «وضرَبَ هذا» مِن غيرِ استحقاقٍ، أو زيادة على ما يَستحِقُّه، وذِكرُ هذه السَّيِّئاتِ ليْس للحصرِ، بلْ هو تَمثيلٌ يَشمَلُ جميعَ المعاصِي.

والمقصودُ جَميعُ حُقوقِ العِبادِ، والمعنى: مَن جمَعَ بيْن تلك العِباداتِ وهذه السَّيِّئاتِ، فَيُعْطَى هذا المظلومُ بَعضَ حَسناتِ الظَّالِمِ، ويُعطَى المظلومُ الآخَرُ بعضَ حَسناتِه، فإنْ فَنِيَتْ حَسناتُه قبْلَ أن يُؤدِّيَ ما عليه مِنَ الحقوقِ، أَخَذَ الظالِمُ مِن سيِّئاتِ أصحابِ الحقوقِ، فَطُرِحتْ على هذا الظالِمِ ووُضِعَتْ عليه.

ثُمَّ أُلْقِيَ ورُمِيَ في النَّارِ؛ كَي يُعذَّبَ بها بقَدْرِ استحقاقِه إنْ لم يُغفَرْ له، وفيه إشعارٌ بأنَّه لا عَفوَ ولا شَفاعةَ في حقوقِ العبادِ إلَّا أنْ يَشاءَ اللهُ، فَيُرضِي المظلومَ بِمَا أرادَ، حتَّى إذا انتهَتْ عُقوبةُ تلك الخَطايا رُدَّ إلى الجنَّةِ إنْ كانت هناك حَسناتٌ باقيةٌ، وإلَّا فبَبركةِ الإيمانِ وبما كُتِب له مِن الخُلودِ.**وفي الحَديثِ:** بيانُ مَعنى المُفلِسِ الحقيقيِّ، وهو مَنْ أخَذَ غُرماؤُه أعمالَه الصَّالحةَ.**وفيه:** أنَّ القِصاصَ في الآخرةِ قدْ يَأتي على جميعِ الحسناتِ، حتَّى لا يُبقي منها شَيئًا.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

إذا ما الدهرَ جرَّ على أُناسٍ بكَلْكَلِهِ أناخَ بآخرينَ.
فقلْ للشامتينَ بنَا أفيقُوا سيلقَي الشامتونَ كمَا لقينَا.

5. **ومِن علاجِ التنمُّرِ؛ التوبةُ والعودةُ إلى اللهِ والندمُ على ما فاتَ:** قالَ جلَّ وعلا: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾ (آل عمران، آية: 30).

فالحيطةَ الحيطةَ قبلَ الندمِ على ما فات، والبدارَ البدارَ قبلَ فواتِ الأوانِ، البدارَ البدارَ قبلَ الندمِ والحسرةِ على ما فاتَ، فأصلحْ بالتوبةِ ما هو آتٍ، واندمْ يا مسكينُ على ما فات، واستعدْ لليومِ الثقيلِ والهولِ الكبيرِ والخطبِ الجليلِ والعذابِ الشديدِ، وَعَلَينَا أَنْ نَتَأَدَّبَ بِأَدَبِ الشَّرْعِ، وَأَنْ نَعْرِضَ أَفْعَالَنَا وَتَصَرُّفَاتِنَا عَلَى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، حَتَّى لَا تَصْدُرَ أَفْعَالُنَا عَنْ عَوَاطِفَ هَوْجَاءَ وَأَهْوَاءَ مُهْلِكَةٍ، أَوْ رَغْبَةٍ فِي إِضْحَاكِ النَّاسِ، بِمَعْصِيَةِ اللهِ.

وتذكرْ قولَ المعصومِ ﷺ ، **الذي رَوَاهُ اِبْنُ حِبَّانَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ:** (**إِنَّ الرَّجُلَ لَيتكلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، يُضْحِكُ بِهَا جُلساءَهُ؛ يهوي بها مِنْ أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا**) ([44]).

---

[44] . كتاب الرابع من فوائد أبي عثمان البحيري: (ص23)، وفي رواية: (**إنَّ الرجلَ لَيتكلَّمُ بالكلمةِ لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا**) أخرجه الترمذي (2314)، وأحمد (7215) واللفظ لهما بزيادة في آخره، وأخرجه ابن ماجه (3970) باختلاف يسير. وأصله في صحيح البخاري (6477)، ومسلم (2988).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

يا رَبِّ إن عَظُمَت ذُنوبي كَثرَةً	فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ.
إِن كانَ لا يَرجوكَ إِلّا مُحسِنٌ	فَبِمَن يَلوذُ وَيَستَجيرُ المُجرِمُ.
ما لي إِلَيكَ وَسيلَةٌ إِلا الرَجا	وَجَميلُ عَفوِكَ ثُمَّ أَنّي مُسلِمُ.

حفظَ اللهُ مصرَ مِن كيدِ الكائدين، وشرِّ الفاسدين، وحقدِ الحاقدين، ومكرِ الماكرين، واعتداءِ المعتدين، وإرجافِ المُرجفين، وخيانةِ الخائنين.

شرح الحديث.

اللِّسانُ مِن نِعَمِ اللهِ العَظيمةِ، ولَطائفِ صُنعِه البَديعةِ؛ فإنَّه مع صِغَرِ جِرْمِه قدْ يكونُ سَببًا في دُخولِ الجنَّةِ، أو انْكِبابِ صاحِبِه على وَجْهِه في النَّارِ؛ لذا يَنْبغي للمُسلِمِ أنْ يَحفَظَ لِسانَه، وفي هذا الحَديثِ بَيَّن النَّبيُّ ﷺ أثَرَ الكلمةِ وما يَترتَّبُ عليها مِن أجْرٍ أو وِزرٍ، حتَّى إنَّ العبدَ لَيتكلَّمُ بالكَلمةِ مِمَّا يَرْضاهُ اللهُ ويُحِبُّه، لا يَلتفِتُ لها قلْبُه وبالُه؛ لِقِلَّةِ شَأنِها عندَه، فيَرْفَعُه اللهُ بها دَرَجاتٍ في الجنَّة.

وإنَّه لَيتكلَّمُ بالكَلمةِ الواحدةِ مِمَّا يَكْرَهُه اللهُ ولا يَرْضاهُ، لا يَلتفِتُ بالُه وقلْبُه لعِظَمِها، ولا يَتفكَّرُ في عاقِبَتِها، ولا يَظُنُّ أنَّها تُؤثِّرُ شَيئًا، ولكِنَّها عندَ اللهِ عَظيمةٌ في قُبحِها، فيَهْوِي بها -أي: يَنزِل ويَسقُط بسَببِها- في دَرَكاتِ جَهَنَّمَ.

وهذا تَحذيرٌ للمُسلِمِ مِن خُطورةِ الكَلِمةِ؛ فإنَّ الكَلِمةَ إذا لم تَخرُجْ مِن الفَمِ فالإنسانُ مالِكُها، فإذا خرَجَت كان أسيرَها. **وفي الحَديثِ:** أنَّ مَوضوعَ الكلامِ هو مَا يُحدِّد أثَرَه المترتِّب عليه؛ فقدْ يَخرُجُ المُسلِمُ مِن إسلامِه بسَببِ كَلِمةٍ، وقدْ يَنصُرُ اللهُ الإسلامَ بكَلمةٍ.**وفيه:** التأمُّلُ والتفكُّرُ فيما يَنطِقُ به الإنسانُ.

فرحم الله عبداً حفظ لسانه عن الهمز واللمز والاستهزاء بالناس والسخرية منهم، واشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ومن سلم منه الخلق رضي عنه الرب سبحانه.

خاتمة.

جاءت الشريعة الإسلامية لحماية الإنسان مِن كل ما يمكن أن يصيبه بالضرر، فحَرَّمت الإيذاء بكلِّ صوره وأشكاله، ومنه التَّنَمُّر الذى يشتمل على جملة مِن الإيذاءات النفسية أو الجسدية الحاصلة من الـــمُتَنَمِّر، والتي يحصل بسببها ضررٌ على الـــمُتَنَمَّر عليه، فجميع صور السخرية والاستهزاء مذمومةٌ شرعًا، ومَجَرَّمةٌ قانونًا؛ وذلك لما تشتمل عليه من الإيذاء والضرر الـــمُحَرَّمينِ، إضافةً إلى خطورتها على الأمن المجتمعي.

والتَّنَمُّر يشتمل على جملة مِن الإيذاءات النفسية أو الجسدية الحاصلة من المُتَنَمِّر، والتي يحصل بسببها ضررٌ على الـــمُتَنَمَّر عليه؛ وقد جاءت الشريعة الإسلامية لحماية الإنسان مِن كل ما يمكن أن يصيبه بالضرر.

ليعلم العبد المؤمن أنه إذا ما سخر من خلق الله، فإنه بذلك يمكن هؤلاء الناس الذين يسخر منهم من حســـناته يوم القيامة، فيأخذونها بدون كره ولا تعب، أفبعد أن تعبت أنت أيها العبد، في كســـبها وتحصـيلها؟ تضـيعها هكذا، فإن لم يكن لك حسـنات حملوا عليك من أوزارهم وسـيئاتهم، بقدر ما أسـأت إليهم، وخضت في أعراضهم، وكفى بذلك حسرة ورادعاً عن الوقوع في هذه المعصية.

قال رسـول الله ﷺ: (أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ) ([45])

---

[45]. الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: 87، خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه مسلم (2581).

شرح الحديث.

مِن شَنائعِ الأمورِ الَّتي يَغفُلُ عنها كَثيرٌ مِن النَّاسِ أنَّهم ربَّما يُحسِنون العباداتِ، إلَّا أنَّهم يَقترِفون معها الذُّنوبَ، والَّتي منها ما يَتعلَّقُ بحُقوقِ العبادِ، وسَوفَ يُحاسَبُ كلُّ إنسانٍ يومَ القيامةِ على ما عَمِل مِن خَيرٍ أو شَرٍّ.

وفي هذا الحديثِ سألَ النَّبِيّ ﷺ أصحابَهُ رَضيَ اللهُ عنهم: «**أَتدْرونَ**»، أي: أتعلَمونَ «**ما المُفلِسُ**» وما حَقيقتُه؟ وهذا الاستفهامُ للتَّقريرِ وإخراجِ الجوابِ مِن المخاطَبِ؛ لِيَبني عليه الحُكمَ المرادَ، ولمَّا كان المقصودُ السُّؤالَ عن الوصفِ وليْس عن الذَّاتِ عبَّرَ بـ«ما» بدَلَ «**مَن**»، فَأجابوا: الْمُفلِسُ فِيما بيْننا وفيما نَعرِفُه هو مَن لا يملكُ مالًا، ولا متاعًا، أي: مِمَّا يَحصُلُ به النَّقدُ وما يُتمتَّعُ به مِنَ حَوائجِ وأغراضِ الدُّنيا، مثلُ: الأقمشةِ والجواهرِ والْمَواشي والعبيدِ، وأمثالِ ذلك.

والحاصلُ: أنَّهم أجابوا بما عندَهم مِنَ العِلمِ بِحسَبِ عُرْفِ أهْلِ الدُّنْيا، كما يدُلُّ عليه قولُهم: «**فِينا**»، فقال لهم النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ المُفلِسَ مِن أُمَّتِي**»، أي: المفلسُ الحقيقيُّ، أوِ المُفْلِس في الآخرةِ، هو «**مَن يأْتي يوْمَ القيامةِ بِصيامٍ وصَلاةٍ وزكاةٍ**» مَقبولاتٍ قدْ أدَّاها كما أمَرَه اللهُ.

وذِكرُ هذه العباداتِ ليْس للحصرِ، بلْ هو تَمثيلٌ يَشمَلُ جميعَ الطَّاعاتِ، ولكنَّه يَأْتي وقدْ شَتَمَ هذا، أي: وَقعَ منه شَتْمٌ وسبٌّ لِأحدٍ، وقذَفَ هذا، وهو الاتِّهامُ بِالزِّنا ونحوِه، «**وَأكَلَ مالَ هذا**» بِالباطلِ، «**وسفَكَ دمَ هذا**» فأَراقَ دمَه بِغيرِ حقٍّ، «**وضرَبَ هذا**» مِن غيرِ استحقاقٍ، أو زيادة على ما يَستحِقُّه، وذِكرُ هذه السَّيِّئاتِ ليْس للحصرِ، بلْ هو تَمثيلٌ يَشمَلُ جميعَ المعاصِي، والمقصودُ جَميعُ حُقوقِ العِبادِ.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

وقد جاءت الشـــريعة الإســـلامية لحثّ الناس على مكارم الأخلاق والبُعد عن بذيء الأقوال والأفعال؛ ولذلك جاء الذمُّ والنهي عن السـخرية والاحتقار، وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الحجرات: 11].

أمَّا السـخرية، فهي في معنى الاسـتهزاء والاحتقار؛ **يقول الإمام القرطبي المالكي في "تفسـيره"** ([46]): [ينبغي أن لا يجترئ أحدٌ على الاستهزاء بمَن يقتحمه بعينِهِ إذا رآه رثَّ الحال، أو ذا عاهةٍ في بدن، أو غير لبقٍ في محادثته، فلعله أخلص ضميرًا أو أنقى قلبًا ممَّن هو على ضدّ صفته؛ فيظلم نفسه بتحقير مَن وقَّره الله، والاستهزاء بمَن عظمه الله.

ولقد بلغ بالسَّـلفِ إفراط توقيهم وتصـونهم من ذلك أن قال عمر بن شـراحبيل: لو رأيت رجلًا يُرضِـع عنزًا، فضـحكت منه لخشـيت أن أصـنع مثل الذي صـنع، وعن عبد الله بن مسـعود– رضـي الله

والمعنى: مَن جمَعَ بيْن تلك العِباداتِ وهذه السَّيِّئاتِ، فَيُعْطَى هذا المظلومُ بَعضَ حَسناتِ الظَّالِمِ، ويُعطَى المظلومُ الآخَرُ بعضَ حَسناتِه، فإنْ فَنِيَتْ حَسناتُه قبْلَ أن يُؤدِّيَ ما عليه مِنَ الحقوقِ، أَخَذَ الظالِمُ مِن سـيِّئاتِ أصـحابِ الحقوقِ، فَطُرِحتْ على هذا الظالِمِ ووُضـعَتْ عليه، ثُمَّ أُلْقِيَ ورُمِيَ في النَّارِ؛ كَي يُعذَّبَ بها بقَدْرِ استحقاقِه إنْ لم يُغفَرْ له.

وفيه إشعارٌ بأنَّه لا عَفوَ ولا شَفاعةَ في حقوقِ العبادِ إلَّا أنْ يَشاءَ اللهُ، فَيُرضِي المظلومَ بِمَا أرادَ، حتَّى إذا انتهَتْ عُقوبةُ تلك الخَطايا رُدَّ إلى الجنَّةِ إنْ كانت هناك حَسـناتٌ باقيةٌ، وإلَّا فبَبركةِ الإيمانِ وبما كُتِب له مِن الخُلودِ. **وفي الحَديثِ:** بيانُ مَعنى المُفلِسِ الحقيقيِّ، وهو مَنْ أخَذَ غُرماؤُه أعمالَه الصَّـالحةَ. **وفيه:** أنَّ القِصاصَ في الآخرةِ قدْ يَأتي على جميعِ الحسناتِ، حتَّى لا يُبقي منها شَيئًا.

[46] . الإمام القرطبي المالكي في "تفسيره" (16/ 325، ط. دار الكتب المصرية).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

عنه-: البلاء موكل بالقول، لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبًا، قال: «**إنَّ الله لا ينظرُ إلى صُورِكُم وأمْوَالِكُم، ولكن ينظرُ إلى قُلُوبِكُم وأَعْمَالِكُم**»] ([47]).

وأمَّا الاحتقار؛ فالنهي عنه صريحٌ في حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا؛ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا**»

---

[47]. الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: 1862، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

شرح الحديث.

علَّمَنا النبيُّ ﷺ أنَّ الناسَ لا تَتفاضَلُ بحُسْنِ المظاهِرِ أو كَثرةِ الأموالِ، وإنما تتفاضلُ بطَهارةِ القلوبِ، والخَشيةِ من اللهِ، والسَّعي في الأعمالِ الصالحةِ، كما في هذا الحَديثِ، حيثُ يقولُ النبيُّ ﷺ: "**إنَّ اللهَ تعالى لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكم، وأموالِكم**"، أي: إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى لا يَنظُرُ إلى أجسامِ العبادِ؛ هلْ هي كَبيرةٌ أو صَغيرةٌ، أو صَحيحةٌ أو سَقيمةٌ، ولا يَنظُرُ إلى الصُّوَرِ؛ هل هي جميلةٌ أو ذَميمةٌ؛ ولا يَنظُرُ إلى الأموالِ كثيرةٍ أو قليلةٍ.

فلا يُؤاخِذُ اللهُ عزَّ وجلَّ عبادَه، ولا يُحاسبُهم على هذه الأمورِ وتَفاوُتِهم فيها، "**ولكنْ يَنظُرُ إلى قُلوبِكم**"، أي: إلى ما فيها من التَّقْوى واليقينِ، والصدقِ والإخلاصِ، وقصدِ الرياءِ والسُّمعةِ، وسائرِ الأخلاقِ الحَسنةِ والقبيحةِ، "**وأعمالِكم**"، أي: وينظُرُ إلى أعمالِكم من حيثُ صلاحُها وفسادُها؛ فيثيبُ ويُجازي عليها؛ فلَيسَ بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ خلْقِه صِلةٌ إلَّا بِالتَّقْوى؛ فمَنْ كان للهِ أتْقَى كان من اللهِ أقربَ، وكان عندَ اللهِ أكرمَ؛ إذَنْ فعلى المَرْءِ ألَّا يَفخرَ بِمالِه ولا بِجَمالِه ولا ببدنِه ولا بأولادِه ولا بِقُصورِه، ولا بِشيءٍ من هذه الدُّنْيا أبدًا، إنَّما إذا وفَّقه اللهُ لِلتَّقوى؛ فهذا من فَضلِ اللهِ عليه؛ فَلْيحمدِ اللهَ عليه، وإنْ خُذِلَ فلا يَلومَنَّ إلَّا نفْسَه.

وفي الحديثِ: الحثُّ على الاعتمادِ على النيةِ وحُسنِ القصدِ، والتَّحذيرُ من الركونِ إلى الظاهرِ دُونَ إصلاحِ الباطِنِ. وفي الحديث: بيانُ أثرِ القَلبِ في صَلاحِ الجَوارحِ وفَسادِها.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» ([48]).

ففي هذا الحديث شَدَّد النبي ﷺ في النهي عن الاحتقار، والمعنى: أي يكفي الإنسان من الشر وشدّته أن يحقرَ أخاه المسلم، فلا أشرّ من ذلك شرّ؛ قال الإمام الملا علي القاري في:"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" ([49]): [وقوله: «أن يَحْقِرَ أَخَاهُ» خبره، أي: حسبه وكافيه من خلال الشرّ ورذائل الأخلاق تحقير أخيه المسلم] اهـ. وممَّا ذكر يعلم الجواب عن السؤال.

المراجع.

1. أحكام القرآن لابن العربي، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى.
2. أحكام القرآن للجصاص، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1415هـ/ 1994م.
3. إحياء علوم الدين الدين حامد الغزالي الطوسي (المتوفي: 505هـ) الناشر: دار المعرفة، بيروت.
4. أخلاق النبي ﷺ وآدابه لأبي الشيخ الأصبهاني، دار النشر: الدار المصرية اللبنانية، البلد: القاهرة، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1413هـ، 1993م.

---

[48]. الراوي: أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: 7242 | خلاصة حكم المحدث: صحيح، التخريج: أخرجه البخاري (6064) مختصراً، ومسلم (2564) باختلاف يسير.

[49]. الإمام الملا علي القاري في "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" (7/ 3106، ط. دار الفكر، بيروت، لبنان).

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

5. الأذكار للنووي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ 1994م.
6. أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك، لأبي بكر بن حسن بن عبد الله الكشناوي (المتوفي: 1397هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية.
7. إعم الموقعين لابن القيم، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، الطبعة: 1388هـ 1968م.
8. الأوسط للطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين. القاهرة.
9. بحث بعنوان: البرامج الساخرة جدل غير محسوم حول تأثيراتها السياسية، أ. هالة الحفناوي، رئيس وحدة تقييم التفاعلات المجتمعية، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبو ظبي، منشور في مجلة اتجاهات الأحداث العدد: (21).
10. حسن عماد مكاوي: تكنولوجيا الاتصال الحديث في عصر المعلومات، ط2، القاهرة، الدار المصرية، 1997، ص37.
11. حمدان عبد الله الصوفي: تصور تربوي مفتوح لمواجهة اخطار استخدام الانترنت لدي فئة الشباب، مؤتمر التربية في فلسطين ومتغيرات العصر، 2004.
12. محمود ربيع جمعة عبد الجيد، الأحكام الفقهية المتعلقة بالمحتوى الساخر، العدد: (53): مجلة دار الافتاء المصرية، 2023، ص ص: 146- 232.
13. دلائل النبوة للبيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1405هـ.
14. روح المعاني للآلوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.
15. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت 974هـ) الناشر: دار الفكر، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م.

16. سبل السلام للصنعاني، الناشر: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
17. السخرية في أدب المازني، حامد عبده الهوال، طبعة الهيئة المصرية للكتاب 1982م.
18. السخرية في البرامج التلفزيونية، ضياء مصطفى، طبعة دار ميزوبوتاميا بغداد، الطبعة الأولى لسنة 2014م.
19. سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، ومحمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى،1430هـ 2009م.
20. سنن أبي داود، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
21. سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ1-2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ4-5) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية،1395هـ- 1975م.
22. السنن الكبري للبيهقي، الناشر: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ1994م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
23. السنن الكبري للنسائي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،1411هـ 1991م.
24. شرح النووي على صحيح مسلم، الناشر: دار إحياء الرتاث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ.
25. شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد. السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ 2003م.
26. صحيح ابن حبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ 1988م.
27. صحيح البخاري، الناشر: دار الشعب. القاهرة، الطبعة: الأولى، 1987م.

28. صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الرتاث العربي. بيروت.

29. فاروق محمد العدلي: الرعاية الاجتماعية العمالية ومشكلاتها، كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، 1981، ص6-7.

30. الفتاوى الهندية للجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثانية، 1310هـ.

31. فتح الباري ابن حجر العسقلاين، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة. بيروت، 1379هـ.

32. فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار، للصنعاني، المحقق: مجموعة بإشراف الشيخ علي العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، الطبعة: الأولى، 1427هـ.

33. فتح القدير للكمال بن الهمام، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

34. قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام، المحقق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، الناشر: دار المعارف بيروت. لبنان.

35. مجدي محمد الدسوقي: مقياس السلوك التنمري للأطفال والمراهقين، القاهرة، ط1، دار العلوم، 2016، ص25-26.

36. محمد أحمد بيومي: ظاهرة التطرف الأسباب والعلاج، الإسكندرية، ط2، دار المعرفة، 1999، ص20.

37. محمد عبيد عياد الفهيدي: تقييم دور الخدمة الاجتماعية الطبية، ط1، الرياض، جامعة نايف، 2012، ص17.

38. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي الهروي القاري (المتوفي: 1410هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت. لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ 2002م.

39. المستدرك، للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ 1990م.

40. مسعد أبو الديار: سيكولوجية التنمر بين النظرية والعلاج، القاهرة، ط1، دار العلوم، 2016، ص9-10.

41. مسند أحمد، تعليق شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة قرطبة.القاهرة.

42. مسند البزار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، الناشر: مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة، الطبعة: الأولى.

43. مصابيح السنة للبغوي، تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.لبنان، الطبعة: الأولى، 1407هـ 1987م.

44. معالم السنن للخطابي، الناشر: المطبعة العلمية. حلب، الطبعة: الأولى1351هـ 1932م.

45. المعجم الكبير للطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية. القاهرة، الطبعة: الثانية 1994م.

المغني لابن قدامة، الناشر: دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1405هـ.

46. مقال بعنوان: التنمر والاستهزاء على مواقع التواصل الاجتماعي وعقوبته طبقاً للقانون المصري، للكاتب محمود سمة محمود الهايشة، جريدة الحوار المتمدن، العدد (6592) بتاريخ 13/ 6/ 2020.

47. نصب الراية للزيلعي المحقق: محمد عوامة، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. دار القبلة للثقافة الإسلامية. جدة. السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ 1997م.

INTERNATIONAL JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE RESEARCH (IJALR)
ONLINE ISSN:(2786-0361) PRINT ISSN:(2786-0353)

International Journal of Arabic Language and Literature Research

(IJALR)

The online ISSN is :2786-0361

The print ISSN is :2786-0353